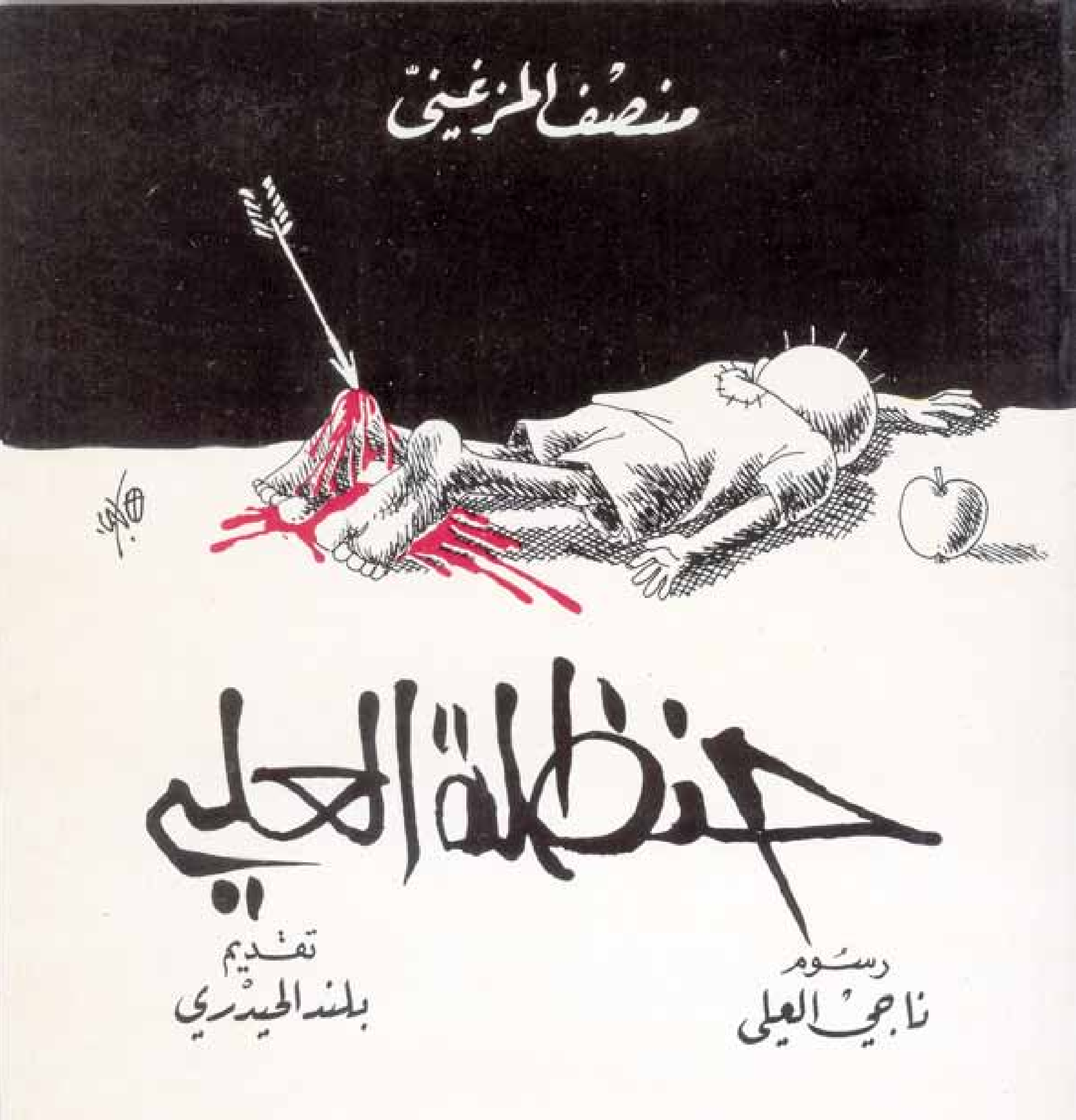
منصف المزغني



حنظلة العلي

رسوم
ناجي العلي

تقديم
بلند الحيدري

دار الأقواس للنشر
دار طبريا للنشر



هذا العمل تحية
إلى أسرة ناجي الصغيرة
و إلى أسرته الممتدة
تأكيدا لروح الحبر عبر
حنظلة لا يجف ...

م . م



حنظلة العلي

رسوم
ناجي العلي

تقديم
بلند الحيدري

دار الأقواس للنشر
دار طبريا للنشر

● للشاعـــر

عناقيد الفرح الخاوي : طبعتان 1981- ديميتير للنشر - تونس.
(كاسيت) صوت إفريقيا 1982 .

عياش : طبعة أولى : ديميتير للنشر - تونس -1982
طبعة ثانية : دار ابن رشد -عمان -1986

قوس الرياح : طبعة أولى : دار طبريا - الاردن 1989 .

●الصفحات اللوحات

قام الرسام التونسي علي عبيد مشكورا برسم ناجي العلي (ص 12 و 19) والغلاف الاخير

33 - 44 - 45 - أعدت بتصرف

62 - لوحة رسمها غسان كنفاني (1936 - 1972)

63 - الشاعر ف . غ . لوركا بريشة سلفادور دالي .

74 - 75 - 76 - 93 - 94 - تفصيل من لوحات كاريكاتورية لناجي العلي من كتاب (كاريكاتور ناجي العلي)

90 - 91 لوحة مؤلفة من تفصيلات في رسوم من كتاب (كاريكاتور ناجي العلي)

100 - رسمُ الفنانِ العراقي هاني مظهر نُشِر في القبس

18 ـ19ـ لوحة زيتية للرسام الليبي :محمد الزواوي

● الاصدقاء:منيرة مصباح و محمد احمد القابسي و صالح جغام ومنى السعودي ونجيب الخطاب مشكورون على مساعدتهم المختلفة وجمع الوثائق والرسوم المعتمدة والتنبيه اليها

قصيدة المزغنيّ بأسلوب ناجي العلي

مقدّمة
بلند الحيدري

لقد دأب غيرٌ واحدٍ من شعرائنا العرب المحدثين، على السعي لاعتماد بعض الشخصيّات النمطية التراثية، مدارا لأعمالهم الابداعية الشعرية، وحيث يكون لهم أن يشكّلوا منها، ومن بعض ما وقعوا إليه منها بُؤَرًا رئيسية تتخذ لها أبعادا رمزية متعددة الجوانب، وحيث يكون لأطراف القصيدة أن تنجذب إلى البؤرة وأن تتوزّع منها عبر ما نسمّيه بوحدة التنوع التي تُوسعُ المجال رحبا أمام مجرى التعامل مع الشخصية النمطية وفرادتها، وعبر جهد يمدُّ بصلاته ما بين التراث في أصالته وبين الحداثة برؤية جديدة تنبع من صميم العمل الشعريّ، ومن صميم مخزونِ ذاكرةِ المُتلقّي وشدّة انتمائه لمناخ القصيدة مما يُعزّز من مقوّماتها ومن التعاطف ما بين الشاعر والمتلقي، ونذكر من بين تلك الشخصيات **الحلاّج**، **وعبد الرحمان الدّاخل**، **والحجّاج والإمام علي**، **ومالك بن الريب والحسين**، وقد تخرُج ببعض هؤلاء الشعراء مساعيهم في المجال ذاته إلى استلاف شخصيات أسطورية من الأدب العالمي التي كان لها أن استكملتْ نفسَها في رموز جاهزة وكاملة كأ**وديب** و**سيزيف** و**هملت** وسواها.

غير أن ما يذهبُ جديدا في تجربة الشاعر المنصف المِزْغَنّي في قصيدته الموسومة باسم « حنظلة »، هو أنه سعى سعيا على جانب من الأهمية إلى تجاوز الحدث كمحاكاة للفعل، فعرف كيف يُداخل ويُعاضل ما بين الواقع والرمز، ما بين ناجي العلي، الفنان الشهيد وبين « حنظلة »، ما بين اغتيال العلي بأثر من « حنظلة » وما بين خلود « حنظلة » بأثر من ناجي العلي، وأن يبقي في الآن ذاته، مَا يعمّقُ وعينا بالوحدة الدراميّة من خلال اندماج الحدث بالمكوّنات النفسيّة والرمزيّة لشخصيّة كل منهما، بحيث يصير للرموز الشاملة للعمل الابداعي أن تنمُوَ وتكبرَ من خلال الجزئيات الواقعية المتساوقة معها، وعبر مزاوجةٍ على جانب من الدقّة الواعية ما بين الأشكال المتحرّكة في القصيدة وما بين المشاعر المتعاطفة معها، انطلاقا من جوهر العمل الابداعيّ القائم على تلك العلاقة الحميمة ما بين « حنظلة »، برموزه المتعدّدة، في مرارة ثمر الحنظل وبراءة الطفولة وأمانتها وانتداب نفسه لأن يرُصد ويراقب كل ما يجري حوله كحارس أمين، وما بين «ناجي العلي» الذي أدرك نفسه في أمانة الفنّان

وصدقِه وقدرتِه على الصمود ضدّ عَنَتِ المتعنّتين وعَسْفِ المتعسّفين وكذب المنافقين، بحيث صار كلٌّ منهما يستبطنُ الآخر بأكثر من معنًى، صَارَا الوجهَ والمرآةَ والحوارَ المتأزّمَ ما بين الوجه والمرآة، فناجي العلي في «حنظلة» يقوم ضميرًا لأُمّته التي استُلبَ حقُّها في الحياة، و«حنظلة» في ناجي العلي معنىً في الطفل الذي لا يريد أن يكبر فيفقد براءته التي تأبى أن تباع وتشترى، وتأبى أن تساوم على تلك البراءة، ولأنّ في طُفولته، ربما، ما يمنع المجرمين من قتله فقتل الطفل جريمة لا تُغتفر... هكذا أراد ناجي العلي أن يحميَ نفسه في الطفل الذي خلقه نزيهًا، عفيفًا، عَكفَ ذراعيْه خلف ظهره ووقف يتأمّل ما يجري أمامه، وفات الإثنان أنّ بعض المجرمين يقتلون حتّى الأطفال، لأن البراءة أشدُّ خطرًا عليهم.

وينزعُ المِزْغَنّي في قصيدته، نُزوعَ ناجي العليّ في رسومه عندما يُوزّعُ شخوصه بين طرفَي المأساة، بين فقراء أهله ومشرديهم وهمومهم وآلامهم وبين الوالغين بدمائهم ومن بينهم أناسٌ من بعض أهليهم مع الأسف ممن استثمروا المأساة لمصالحهم الدنيئة... يوزّعهُم بين «حنظلة» وبين «حمدلة» لينهض بذلك أسلوب فريدٌ في الأداء التشخيصيّ يتوازى مع أسلوب العليّ في رسومه، ويكون لكل من العليّ والمزغنّي ان يتبادلا التأثيرات المتعاضلة والمتشابكمة ضمن ما نسجا من صور متداخلة الأبعاد، وكأنهما رضعا معا من محبرة واحدة .

وما جَوْفُ خزّاننا غيرُ حبر
كأننا اختمرنا بوجدان محبرة واحدهْ
طرقنا على فوهة المحبرهْ
طرقنا
فما نزّ منها سوى قطرَتيْن اثنتَيْن
اقتسمناهما مثل زوّادة في صحارى الصحافةِ
حيث الحروفُ عرائسُ مختونةٌ بالمقصّ

وممّا يَهَبُ لُغةَ المِزْغَنّي الشعرية خَصيصَتَها الفذّة، هو قدرةُ الشاعر على تكثيف وجود الأشياء الجزئيّة، وإعادتها إلى هويّات أصيلة تلتقي في الشكل وتختلف في مَرامِ

متعدّدةِ الايماءات، كما هي الحال مع «المقصّ»، فهو مقصُّ الرقابة في الاعلام العربي والذي كثيرًا ما طال رقبة حنظلة، وهو مقصُّ ناجي العليّ ساعةَ يُعِدُّ به شخوصَه ويغيِّرُ في زوايا أعماله منها لاعطائها مزيدًا من الانفعال التعبيريّ، وهو بالتالي مقصٌّ مملوءٌ بالدّم والجريمة والقَرفِ عندما يذكّرنا بختانِ النساء. إن الشاعر هنا يُوسع مجالاً رحبا للتداعيات الذهنية عبر كل تلك الجزئيات المرتبطة ببنائية أسلوب ناجي العليّ وشخوصه النمطية، والتي يضيف إليها المِزْغَنّي من عِنْديَّاته ما يُغْنِيها وما يمدّ بها إلى أمداء أخرى تُكَثِّفُ من وجودها، «فبرتقالةُ حيفا» و«أسواق لندن» و«رصاص المطابع» و«صبي الجرائد» و«أكوام الورق» و«الحبر والمحبرة»، تصير كلُّها جُهدا على تَمايُزٍ بَيِّن في تأكيد المُكْنة من استحضار العمق المأساويّ لتلك العلاقة الحميمة ما بين ناجي العليّ وحنظلة وبين وطنها ومصيرِ هذا الوطن السليب .

إنَّ كُلَّ مفردة من تلك المفردات تنهض بها صورةٌ مشحونةٌ بحساسيّة مرهفة، وبأثر من تعاملنا اليومي معها، فهي ليست مجرّد مفردات تستظهر معاني معينة، فبرتقال حيفا ليس ككلّ البرتقال الذي تستوْردُه أسواق العالم، إنّه برتقال مثخنٌ بالعرق والدم، ومحبرة ناجي العليّ ليست ككلّ المحابر، لأنّ في الحبر الذي رسم به شيئا كثيرًا من دمه ومن مصيره، وصبيُّ الجرائد الذي يتأبط الجرائد، صارخا ومُنوِّهًا بعمل جديد لناجي العليّ، هو ليس مُطلقا كباقي الصبيان الذين أَلِفْنَا وجودَهم على أرصفة شوارعنا وهم يبيعون غير نوع من أنواع الجرائد التي أوكِلَ إليهم بيعها، وأسواق لندن المملوءة بالاضاءة البرّاقة والمعلنة عن غناها وتخمتها بالبضائع، هي ليست أسواق لندن التي اكتظّتْ حوانيتُها ببرتقال حيفا الذي نرتجفُ كلّ يوم أمامه ونتذكّر ونغضب، ثم نسكت ونرجع دون أن نمدّ يدنا إليه .

وذاكرةُ العين تخزنُ منذ الرّحيل عبيرَ الأماسي بشاطىء حيفا
وذاكرة العين دوما تَغُصّ إذا
شَافَتِ العينُ
لحمَ الأهالي بأسواق لندن
وفي دمعة البرتقال

لقد أدرك المِزْغَنّي حسنَ صنعته، فعرف كيف يُخفي الصّنعةَ بالصّنعةِ، وكيف يُخفي حذاقة الصانع بعفويّة الشاعر، وكيف يُبَسِّطُ لغتَه وكأنها من بعضِ لغةِ الناس، وكيف يُزاوج ما بين الوضوح المُحرج الذي تفرضه علينا **ذاكرتنا العينيّة والذّهنيّة** بأثر مما كان لناجي العليّ وحنظلة من خصوصيّة في حياتنا، ومما كان لنا من جرح عميق بمأساتنا في اغتيالهما، وبين ما يتداخل مع هذا الوضوح من نسيج شعريّ ذي غموض شفّاف، يغورُ بعيدا في الرمز المتعاضل معه رمز «**صبيّ الجرائد يركضُ أبعدَ من جسمه**» «**ثقبوا صوتَهُ ونَجَا جسمُه**» و«**التَوى الصَّوْتُ بين الأزقّةِ**»... إنه يريد أن يركض إلى ما هو أبعد من حاضِرٍ يحدّدُهُ في الزمان المعيّن ويحدّده في المكان المعيّن، لقد ثقبت الرصاصةُ صوتَه غير أن جسد «حنظلة» ظلّ حيا في ذاكرة كلٍّ منا، وما دام صوته مرتبطا بجسده فسيظل له أن يلتويَ في الأزقة مبشّرا كل يوم بميلاد «حنظلة» آخر، «**الجريدةُ تَيْبَسُ كالخبز**» ولكن الخبز اليابس من بعض طعامنا اليومي، وبذلك يصبح حتى **لكافِ** التشبيه بعدٌ في الدلالة المُتَجاذبة والمُتنافِرة. إنه يعرف كيف ينتقل من لمحة ايجازية مملوة بالغموض المعبر، إلى صورة شديدة الوضوح، ثم ليخلص منهما إلى صمت صائت، بل صمت صارخ ينفجر من خلال علامة استفهام مُعَلّقة في ذيل كلمة كَجَرَس انذار، أو من خلال بضع نقاط سود صغيرة تفترشها فراغات ما بين جمل مبتورة للغة لا تكمل نفسها إلا بمثل هذه الفراغات المملوءة بما تستبطن. وبما هو خلف علامات الاستفهام وخلق تلك النقاط. من أفكار وأحاسيس توالدت فيها وبأثر من تطوّر ونُموّ القصيدة.

وَهَلْ صار فَرخٌ يَزقّ أباه ... ؟

.....

وأمسكتُ بين الأصابع جُمجمةً قنفدية
رسمتُه قرب حدود التلاؤمْ
... ونمتُ ...
... رأيتُ ... الفَتَى طارقًا باب كلِّ مُخيِّم
وقيل

هنا وطنٌ في العيون سيكبر
فهلاّ كَبُرتَ أيا حنظلة
أجاب :
«سأكبر يوم تصيرُ الفضيحةُ أصغر»
و ....

إن جديد أسلوب المِزْغَنّي الشعريّ، يقومُ على تكثيف المشاعر الحادّة، والتي يكون لها أن تتآلف مع معانٍ غير محدّدة رغم دلالاتها المألوفة والقريبة منّا كلّ القرب، وأن شظايا الصور الواقعية والغريبة برومانسيّتها وسرياليتّها، والموزّعة في مَضَانّ العمل الشعريّ تظلّ مشحونةً بالطاقةِ الموحية.

قد يأخذُ البعضُ على الشاعر أنه أكثر من استنجاده بالرموز الجاهزة المُتَبَلْورة في بُؤَرٍ حساسة جدًّا، لإذكاء مشاعر وعواطف القارىء المتعاطف أَصْلاً مع كلّ صورة للعليّ ولحنظلة وفاطمة وأمّ خالد، وأقول : وما الضَّيْرُ في ذلك ما دام لتلك الرموز أن تُعَمِّق وَعْيَنا بالعمل الدرامِيّ، وأن تمدّ الشاعر بما يعبر عن خصيصته الشعرّية من خلال إثارة ذكرياتنا ومعلوماتنا التي كان القارىء قد جمعها سلفًا عن موضوع القصيدة وتعاطف مع معطياتها، ومن ثم إغناء تلك الذكريات والمعلومات بما للشاعر من نسج تصويريّ وحواريّ يحقّق به فرادةَ تقنيّتهِ الأدائيّة التي يقوم بها أسلوبٌ موسومٌ بشخصيّته ولم يَسْتَلِفْ أي شيء من غير خصوصيّته، والتي تسعى هي بدورها إلى توطيد الصلة ما بين القارىء والشاعر بمرمًى من علاقة كل منهما بجوهر الموضوع، حيث يقف «حنظلة» شخصية أسطوريّة نموذجية وأكبر من شخصيّة نمطية محدودة ضمن حدث معين، إنه يعود به إلى كل ما هو جوهريّ وإلى الانسان الذي ينتصب والذي يعرف كيف يقول : «**لا، لما أُعطي له كواقع** ــ فان ديرليوف».

حدّث ناجي العلي ...



قال ...

رمزُ الطّفلِ «حنظلةٍ»، توقيعي هذا أُسأَلُ عنه أينما ذهبتُ.

كان لي أصدقاء تشاركتُ معهم العملَ، تظاهرنا سُجِنّا... إلخ لكن عندما انتهوا إلى أن يتحوّلوا إلى «تنابل» وأصحابِ مؤسساتٍ وعقاراتٍ، خِفتُ على نفسي من الاستهلاك. وفي **الخليج** أنجبتُ هذا الطفل وقدمتُه للناس. اسمُه حنظلة وهو عاهد الجماهير على أن يحافظ على نفسه، رسمتُه طفلا غيرَ جميل شعره مثل شَعَرَ القنفد، والقنفد يستخدم أشواك شعره كسلاح. حنظلة لم أعمله طفلا سمينا مُدلّلاً مرتاحا، إنه حَافٍ من حُفاة المخيم، هو «أَيقُونَةٌ» تحميني من الشّطط والخطأ وبرغم أنه غير جميل إلا أن حَشْوَتَهُ الداخليةَ تحملُ رائحة المسك والعنبر ومن أجله سأقاتلُ قبيلةً بأكملها عندما يُمسُّ. إن يديْه المعقودتَيْن خلف ظهره، علامةٌ من علامات الرفض في مرحلة تمرُّ بها هذه المنطقة وتُقدَّمُ لها الحلولُ على الطريقة الأميركية وعلى طريقة الأنظمة. إن حركة يديْهِ شكلتها بعد حرب أكتوبر — تشرين الأول عندما شَمَمْتُ رائحةَ تطوراتٍ مقبلةٍ على المنطقة عبر حقيبةِ «**كيسنجر**».

ولِدَ حنظلة في العاشرة من عمره، وسيظل دائما في العاشرة، ففي تلك السن غادرتُ الوطن، وحين يعودُ، حنظلة سيكون... بعدُ... في العاشرة، ثم يأخذُ في الكِبَرَ بعد ذلك... قوانينُ الطبيعة المعروفةُ لا تنطبقُ عليه، إنه استثناءٌ... وستصبحُ الأمور طبيعيَّةً حين يعودُ الوطن (...) فالطفل يُمثّل موقفًا رمزيًّا ليس بالنسبة لي فقط... بل بالنسبة لحالةٍ جماعيّةٍ تعيش مثلي وأعيش مثلها.

قدّمتُه للقُرّاء وأسَميتُه حنظلة كرمزٍ للمرارة، في البداية قَدّمْتُهُ كطفلٍ فلسطينيّ لكنه مع تطوّر وَعْيِهِ أصبح له أفقٌ قوميّ ثم أفق كونيٌّ إنسانيّ.

أمّا عن سبب إدارة ظهره للقُراء فتلك قصّةٌ تُروَى: في المراحل الأولى رسمتُه مُلتقِيًا وجهًا لوجهٍ مع الناس، وكان يحمل «الكلاشنكوف» وكان أيضا دائم الحركة وفاعلا وله دورٌ حقيقيّ: يناقش باللغة العربية والانجليزية، بل أكثر من ذلك فقد كان يلعب «الكاراتيه».. يغنّي الزجل ويصرخ ويؤذّن ويهمس ويبشّر بالثورة.

وفي بعض الحالات النادرة، وأثناء انتفاضة **الضفّة الغربيّة**، كان يحمل الحجارة ويرجم بها الأعداء، وأثناء خروج المقاومة الفلسطينية من **بيروت** كان يقبّل يد هذه المدينة الجريحة مثلما كان يقدم الزهور لها.

... وقد يُعْطَى تفسيرٌ: أَنّ لهذا الطفل موقفًا سلبيًّا ينفي عنه دورَ الإيجابيّة، لكنني أقول : إنه عندما يرصد تحرُّكات كل أعداء الأمة، ويكشف كافّةَ المؤامرات التي تُحاكُ ضدَّها، يتبيّنُ كم لهذا الطفل من إسهامات إيجابيّة في الوقوف ضد المؤامرة... وهذا هو المعنى الإيجابيّ.

... **حقيقةُ** الطفل أنه منحازٌ للفقراء، لأنني أحمل موقفا طبقيًّا، لذلك تأتي رسومي على هذا النحو، والمهمّ رسمُ الحالات والوقائع وليس رسم الرؤساء والزعماء.

(...) داومتُ على خلق تلك الشخصيّة بشكل يجعلها الرمزَ الشاهدَ على ما يجري، فقد لاحظتُ أن الرسم الكاريكاتيري كان متّجهًا للنُّخبة وليس للجماهير.

(...) إنه الولد البسيط لكنه حادٌّ ولهذا تبنّاهُ الناس وأحسّوا أنه يُمثّل ضميرَهم الواعد. لقد حاولت من خلال مواقفه أن أبرز القضايا التي يتبنّاها، وجعلتُه يتعامل مع الواقع بشجاعة خالية من أيّ رِياءٍ أو كذبٍ أو نفاق .

ليست مُهمّتي إبراز الإضاءات والإنجازات، إنّ عملي هو الرّصدُ، كشفُ الألغام. وعليّ أيضا أن أنتظر نتائج عملي.

يا ترى ما هي مُهمّاتُ الكاريكاتير السياسي؟ مهمّته التحريضُ، التبشيرُ بولادة إنسان عربيّ جديد سيأتي حتما. التحريض عمليةٌ معروفةٌ تاريخيًّا أليْسَ واجبًا علينا أن نقول كلمة الحقِّ أمام سلطان جائر؟الكاريكاتير مُوجَبَةٌ عليه كلمةُ الحقّ... والسلاطين كثر.

مُهمّةُ الكاريكاتير تعريةُ الحياة بكل ما تعني الكلمة... الكاريكاتير ينشرُ الحياة دائما على الحبال وفي الهواء الطلق، وفي الشوارع العامّة... إنه يقبض على الحياة أينما وجدها لينقلها إلى أسطح الدنيا حيث لا مجال لترميم فجواتها ولا مجال لتستير عورتِها .

... مهمة الكاريكاتير عندي تبشيرّية بالأمل، بالثورة، لولادة إنسان جديد.

الصورةُ عندي هي عناصرُ الكادحين والمقهورين والمطحونين، لأنهم هم الذين يدفعون كل شيء ثمنًا لحياتهم، غلاء الأسعار، الذود عن الوطن، تحمّلُ أخطاء ذَوِي السلطة، كلُّ شيءٍ لديهم صعبٌ الحصولُ عليه، كل شيء قاسٍ يحاصرهم ويقهرهم، لكنهم يناضلون من أجل حياتهم ويموتون في ريعان الشباب، في قُبور بلا أكفان، هم دائما في موقع دفاعٍ مستمرّ لكي تستمرَّ بهم الحياة، أنا في الخندق معهم أراقبُهم وأحسُّ نبضَهم ودماءَهم في عروقهم، ليس لي سلطة أن أوقفَ نَزّفَهُم، أو أحمل عنهم ثقل همومهم لكنَّ سلاحي هو التعبير عنهم بالكاريكاتير، وتلك أنبل مهمّة للكاريكاتير الملتزم .

إنني أستمدُّ حقيقتي من الفقراء الذين مات أولادُهم شهداء ومازالوا يقدّمون الأضحيات من أجل فلسطين.

بدأتُ الرّسم على جدران المُخيَّمات، وفي «النَّادِي» وبدأ الوعيُ السياسيُّ يأخذ طريقَهُ بين الناس في المُخيَّم، كما ظهرت المظاهرات وساعدنا على ذلك تزامنُ ثورة الجزائر في الخمسينات مع ثورة يوليو ـــ تموز في مصر.

حدّدتُ مُهمّتي بأن ألتقط نَفَسَ الناس في «المخيَّم» و«الجنوب» وحتى في «النيل» أعبّرُ عن ذاتي من خلال هؤلاء. أنا أداةٌ من أدوات هذا الشعب العظيم. رسومي ليست للعرض، إنها لغة تعبيريّةٌ وأراهن على روحي لتوظيفها. في سبيل قضيّتي. تعلّمتُ الرسم في السجن، هنالك سجناء يتعلمون ممارسة الأعمال اليدويّة، أنا تعلّمتُ الرسم الكاريكاتيريّ، كنتُ أرسمُ على «حيطان» السجن. وتحضرني ذكرى الشهيد **غسّان كنفاني** الذي زارنا في «النادي» ورأى رسومي، أخذ بعضًا منها ونشرها في مجلة **الحريّة،** من خلال هذه البداية اندفعت بإحساسٍ شاملٍ بأهمّيّةِ الكاريكاتير، تناوبتُ علي فترات **السجن**. بعدها فكّرتَ بالالتجاء إلى الخليج.

اشتغلتُ مزارعًا ... وميكانيكيًّا ... وكهربائيًّا ... وبقي الرسمُ هاجسي، ... التجأتَ إلى مجلة **الطليعة** في الكويت، وبدأت أشتغل من فرّاش إلى رئيس تخرير مع احترامي لكل رؤساء التحرير، كنا نطبع الكلمات ونصُفُّ الحروف ونكنسُ واستطعتُ أن أحصل على مساحة في المجلة، إنَّ الكاريكاتير الذي يحكي عن سعر «البندورة» أعتبرُهُ كاريكاتيرا سياسيًّا، كذلك تناولُ جانبٍ أخلاقيّ أيضا قضيّةٌ سياسيّة، إنّ الرسم الكاريكاتيري الجادّ يريد إيمانا عند الفرد الذي يرسم.

أرسم لأَصِلَ **فلسطين**.

عندما خرجتُ من فلسطين وسَكَنَّا في مُخيّم «عين الحلوة» كان هاجسي مع الزملاء هو الرجوعُ إلى فلسطين، كُنَّا أطفالا وذلك لم يمنعْنا أن نفكّرَ في قضيّتنا ونتوجّسَ من أجلها ونفتّشَ عن طرائقَ للعودة.

إنّ أَيّ فنّانٍ خارج بيته يموت. والفنانُ الذي لا يتواصلُ مع الناس لَنْ يبلغَ هدفَه مَهْمَا عَلا مجدُه.

أنا رجل أحمل خيمتي على ظهري وعشيرتي هي الفقراء.
خيمتي هذه ستستقرُّ في أحد ظلال أشجار فلسطين.

حملتُ بحنظلة في الكويت... وولدتُه هناك... خِفْتُ أن«أتوه» أن تجرفني الأمواجُ بعيدًا عن مَرْبطِ فرسي... **فلسطين**...

حنظلة وفيٌّ لفلسطين ولن يسمحَ لي أن أكون غير ذلك، إنه نقطةُ عرقٍ على جبيني تلسعُني إذا ما جال بخاطري أن أجْبُنَ أو أتراجع.

مَتى سيرى الناس وجهَ حنظلة ؟

عندما تصبح الكرامة العربية غيرَ مُهدَّدة، وعندما يستردُّ الانسان العربيّ شعورَه بحريّته وإنسانيّته ومع ذلك يبقي التعبُ الأكبرُ هو مواصلةُ المشوار بكلِّ ما فيه من تناقضات وهموم، يبقى في الأعماق تعبُ الوطن ذلك الوطن الذي يُبشّرُ به حنظلة بكثير من الأمل

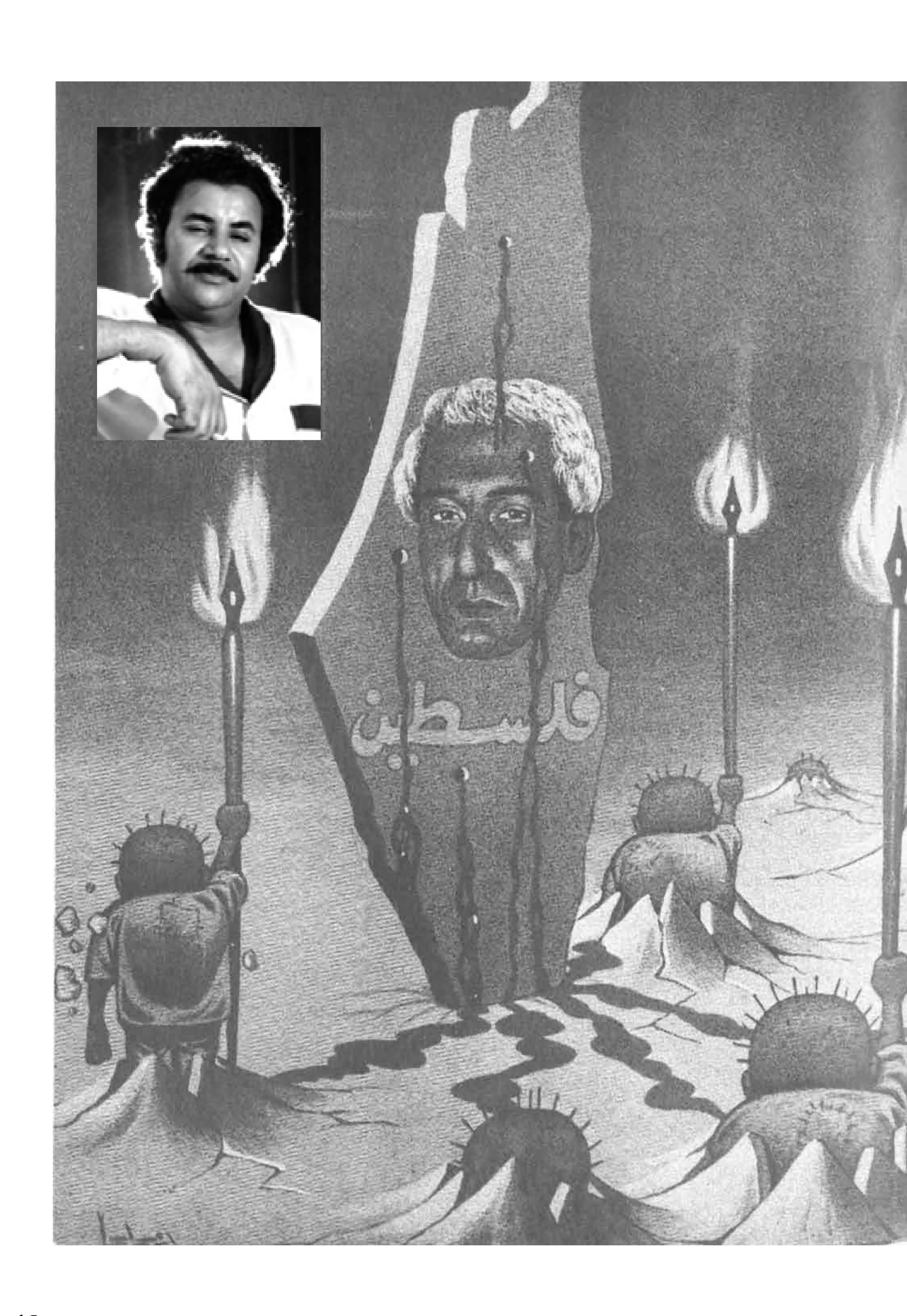
إنه شاهدُ العصر الذي لا يموت... الشاهد الذي دخل الحياة عُنْوةً... ولن يغادرها أبدا... إنّهُ الشاهدُ الأسطورةُ، وهذه الشخصيّة غيرُ قابلةٍ للموت، ولِدَتْ لِتَحْيا وتَحَدَّتْ لتَسْتَمِرّ.

حنظلة : هذا المخلوقُ الذي ابتدَعْتُهُ لن ينتهيَ منْ بَعدِي بالتأكيد ورُبَّما لا أبالغُ إذا قُلْتُ :

إنّني قد أستمرُّ بِهِ بَعْدَ مَوتي.

ناجي




فلسطين



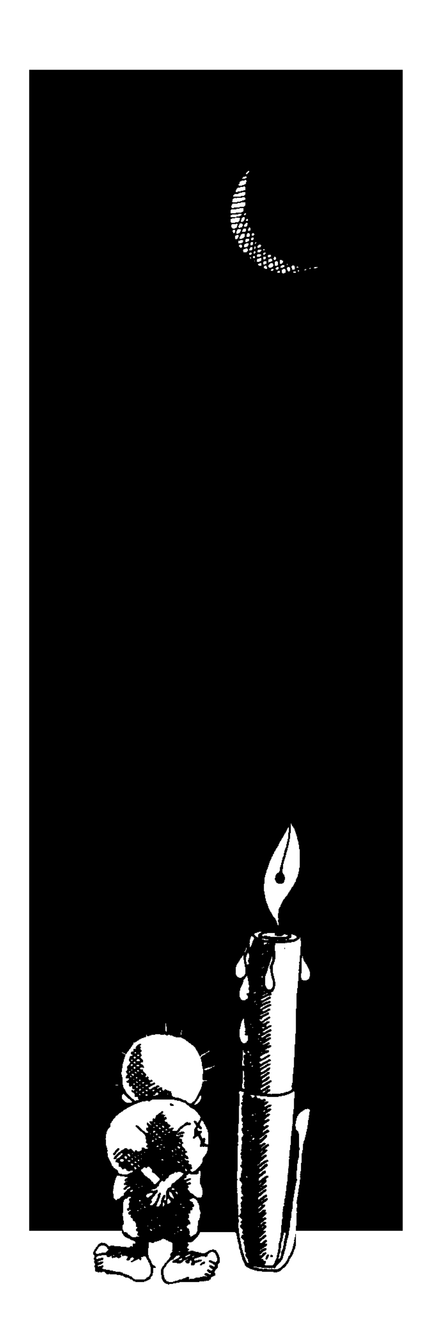
رُؤايَــة شِعريّـَة
لحيَـاة واغتِيال

المولــود سَـنة 1936 بقريَــة "الشجرة" في الجليل الشمالي من فلسطين الواقِعة على ساحِل المتوسط ،
والموؤود في 30 . 8 . 1987 بمقبرة "بروكوود" منطقة سَـاري جنوب لندن .

الكاريكاتوريسْت



ناجي سليم حسين العلي



صَبَاحٌ تَسَلَّلَ لَيْلاً

جَنَاحٌ يَرِفّ

عُيونٌ تُمَشِّطُ رَمْلاً

وَلاَ شيءَ يُقْرأُ بين السُّطور

....

....

....

صَحارَى الوَرَقْ

يَا صَحَارَى الوَرَق

صَحائفُ بِيضٌ
مُحَرَّرةٌ بِالمِقَصّ
حُروفٌ حَريم
وبَيْنَ المِقَصّ الصُّحَافِيّ
تَنَامْ
ولا ضوءَ في العينِ غيرُ الأرقْ
ولا شيْءَ فوق الرمالِ ... سِوَى
وَلَدٍ مِنْ مِدادٍ
يَدَاهُ : قَفَاهُ
عَلَى صَحَرَاءِ الوَرَقْ

جَنَاحٌ يَرِفّ

صَبَاحٌ يَضِجّ

وساعي البريد يَدقُّ
على بيتِ هَذا القَصِيدِ
يَـدُقُّ

سَأَفْتَـحُ

أَفْتَحُ أُولَى الرَّسائل

« أَنَا قَارِئٌ مُسْتَزِيد
سأضربُ رَمْلَ الصِّحافةْ
بِهَذَا المِقَصِّ
لِيَنْبَعَ نَهْرٌ
وَتَيْنَعَ فَوق الصَّحارى خُطَى حَنْظَلَهْ



صَحائفُ تَغْمُرُهَا التَّغْطِيَات
أُرشِّحُ نَفْسِي لِتَعْرِيَةِ المَهْزَلَهْ
أخيرًا سَأَجْزِمْ :

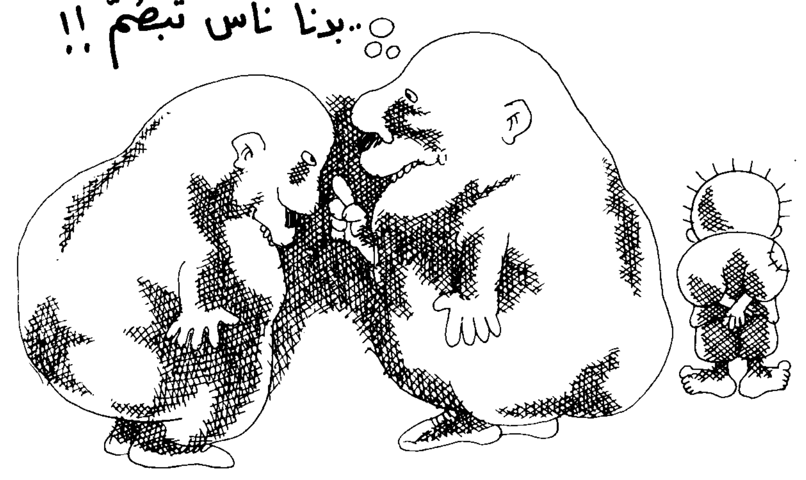
« وَلَمْ »، لَمْ يَدُرْ عِنْدَ ظَهْرِ الصَّحيفة
وَكَانَ يرَى : مَا أراهُ
وَكُنْتُ أرَى مَا يَرَاهُ انتظارُ القَذِيفَهْ

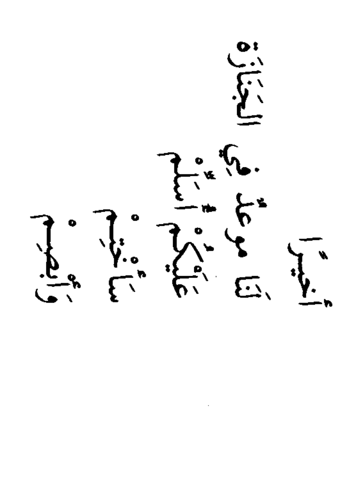


جَنَاحٌ يرِفّ
خلال المَطَرْ
مَسَاءٌ تَلَثَّمَ في غَمَزَاتِ النُّجوم
وَصَمْتٌ يَحُوم

وَمَا دَقَّ بَابًا
وَدَسَّ خطابًا:

« وَبَعْدُ
أنا واحدٌ
إنَّ اِسمِي بِذَيْلِ الرِّسَالة
رَسَمْتُ خُطَاهُ السَّريعةَ فَوق شوارع لَندن
تَقَدَّمْتُ حيثُ تَقَدَّمْ
بِعَيْنَيْه شَعْشَعَ ضَوءُ المُخَيَّم
هَمَمْتُ أُسَلِّمْ
لِسَانِي تَلَعْثَمْ
فَتَحْتُ فَمِي
لَمْ أجِدْ آلةً لِلتَّكَلُّمْ
تَحَسَّسْتُ جَيْبِي
سَحَبْتُ لِسَانِي المُكَتَّمْ


الكتاب والصحفيين شاطرين بالحكي بس
..إحنا ما بدنا بهالمرحله ناس تكتب
..بدنا ناس تبصم !!


أخيرًا
لَنَا موعدٌ فِي الجَنَازَة
عَلَيْكُمْ أُسَلِّمْ
سَأَخْتِمْ
وَأَبْصِمْ


أخوكم
حَنْظَلة المُتَلائم

«ولا عِلْمَ لي»

قيلَ لي

«إنَّ هذا «العليّ»

مزْعجٌ فوق أرْض المَنافي

ولَمْ يَتَحَمّلْهُ وُسْعُ الفيَافي

وحَفّى المِقصّ الصّحافي

ومن قبلُ قَالَ

لِسَانُ المِقَصّ



« تَفَاءَلْ أبَا حَنْظَلَهْ

وقرِّبْ خُطوطَكَ نَحْو حُدودِ التَّلاؤُم

« رسمتُ الّذي قَدْ رَأيْتُ »

« وماذا رَأيْت »

رأيتُ الّذي قَدْ رَسَمْتُ

« وَمَاذَا رَسَمْتْ »

« خِلاَفِي الرشيد

كشفتُ الخِلافة

عَلى ظهر طفلٍ شريد

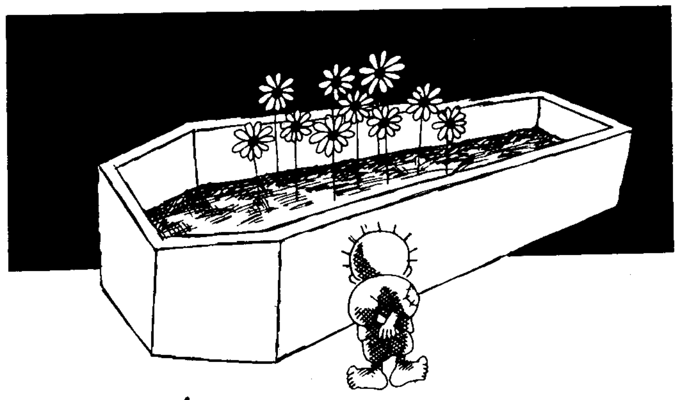
يُحِبُّ الصَّحافة

ومن بعدِ هَذا

فَهَذَا فتَايَ العَنيد »

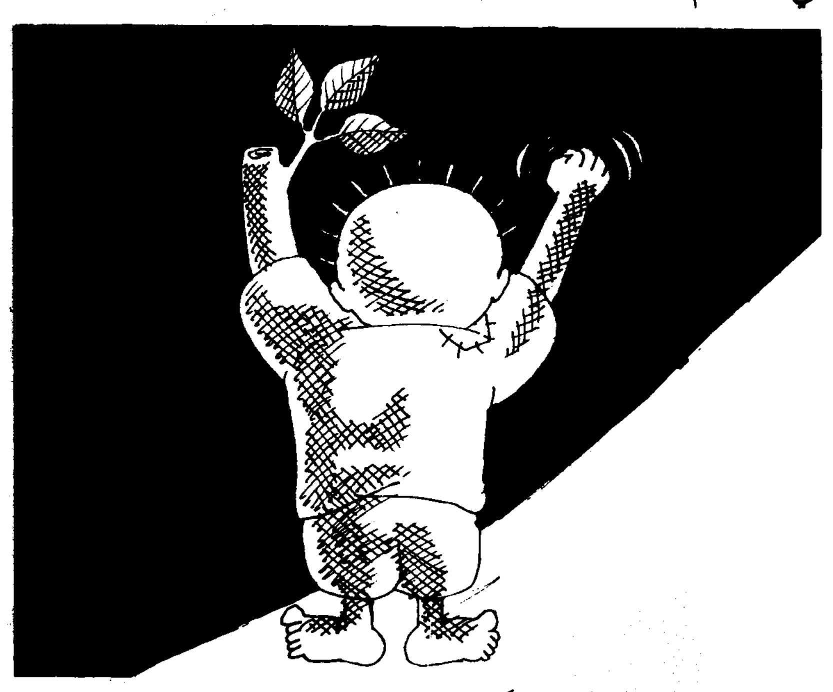
« وَمَاذَا يُريدْ
أَلَيس يحب القُعود »

« بَلَـى
والتَّمَرُّغَ
لكـــن
هنـــا مَزْبَلَـةَ »
وصار يحبُّ الوقوف عَلَى المَهْزَلهْ



وفي الشَّفتَيْنِ النَّشيد : « **من الشُّهَداء** فَقَدْنَا صُنُوفًا
ولكنْ عَلى دَمِنا سَنَظَلُّ وقوفًا
فَقِفْ يَا أَبِي
والتَحِفْ بِي
وُقُوفَـــا
وُقُوفًـــا »

وظَلَّ فتَايَ عَنِ المُقْعِداتِ عَزُوفًا ، تَرَعْرَعَ
بَيْنَ الخُطوطِ
بِعَيْنَيْنِ مَشْقُوقَتَيْنِ كَصَدْرِ المُخيَمْ
أُخَبِّئُهُ في جَبِيني
وَحَيْثُ أُيَمِّمْ
يُطِلُّ بِعَيْنَيْنِ فَضَّاحَتَيْن كَلَوْنِ المُخَيَّم
وَيَغْفُو بِعَيْنَيْن مَصْلِيَّتَيْنِ بِشَوْقٍ إِلَى عَيْنِ حِلْوتهِ
في المُخَيَّم



أشَارَ بعَيْنَيْنِ مُخْضَرَّتَيْنِ إِلَى « الشجرة »

فَآوَيْتُ حَنْظَلَةً قرية « الشجرة »

فطاب النسيم

بأنفاسِ « **عبد الرّحيم** »



« سأحملُ روحي على راحتي

وأُلْقِي بها في خِضَمّ الفِدَاء

فَإمَّا دِمَاءٌ بِنَهْرِ الحَيَاةِ

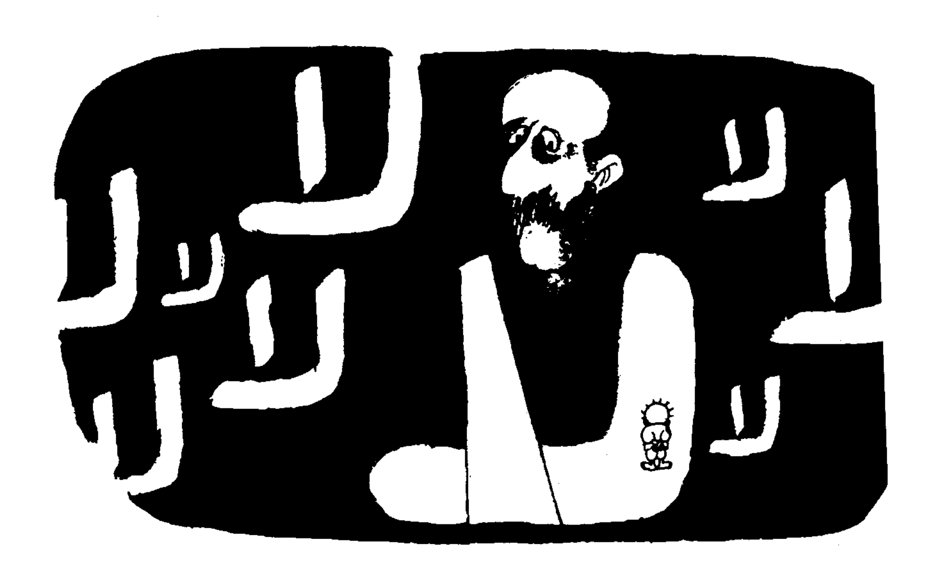
وإمَّا مَمَاتٌ يَغيظُ العِدَاء »

فَقَدْنا مِنَ البُوصَلاتِ الزَّمان



وَصَارَ الزمان بغير مكان

« أبِـــي
يَا أبي المُتَفَائِمَ



لا تَتَنَاغَمْ
ولا تَتَنَاعمْ
ولا تَتَلاءَمْ
فَلَمْ يَتَلاءَمْ بِهَذا الزّمانِ
سِوَى اللُّؤَمَاء »

وَحنظَلَةٌ : وَلَدٌ عَسَلٌ
إنَّما ،، مِنْ قَفِيرِ العِنَاد
وأذكُر إضْرَابَهُ ذَاتَ يَوْمٍ/دمٍ
ألاَ يَذْكُرُ القَارِىءُ الحَنْظَلُّي الجريدةَ يَومَ
انْحَتَفَتْ مِنْ صِيَاحِ صَبيٍّ الجَرائِدِ

أصْلُ الحِكَايَةِ :

أَلْبَسْتُه كِسْوَةً كالحليبِ
وأنزلْتُه فُنْدُقًا نَائِيًا كَالرُّخَام
فَقَـالَ :
« بِـلاَدِي »

طَلَبْتُ مِنَ الخَادِمِ الفُنْدُقِيِّ العِنَبْ
وَجَاءَ العَصِيرُ
فَرَدَّ الطَلَبْ

وَأَوْضَحْتُ لِلخادم الفُنْدُقِيِّ :
« عَنَاقِيدُ يَا سيّدي »
فَقَاطَعَنِي حنظلهْ
« أُحِبُّ كُرُومَ بلادي »

رَسَمْت على الوَرقِ الفُندقيِّ كُرومَ البلادِ
أجَـاب :
« وناطورُ كرمِ بلادي ؟ لماذا نَسِيتَهْ »
سَريعًا رسمتُهْ
فَعَلَّـقْ
« رَسَمْتَهُ دون سلاحٍ ؟ »
فَعَلَّقْتُ في الكَتِفِ البُنْدُقِيّهْ
أجَـابَ
« هُنَالِكَ نَقْصٌ »
فَألْبستُ نَاطُور كَرْم بِلاَدِيَ خُوذَتَهُ العَسْكَرِيَّهْ
فَعَقَّبْ :
« هُنَا الرَّسْمُ أصْوَبْ » .
« فَنَاطُورُ كرمِ بِلاَدِيَ يَغْلَبْ »

ضَحِكْنَا
فَتَايَ يُحِبُّ المِزَاحَ
فِراخُ الإِوَزّ تُجِيدُ السِّبَاحَهْ

وقلـتُ :
« تَكَرَّمْ وَقُلْ أيَّ مَطْلَبْ »
أجـابَ :
« أُحِـبُّ
أُحِبُّ دِمَاء نَواطِيرِ كَرْمِ البِلاَدْ »

وَحَلَّ المَسَاءُ

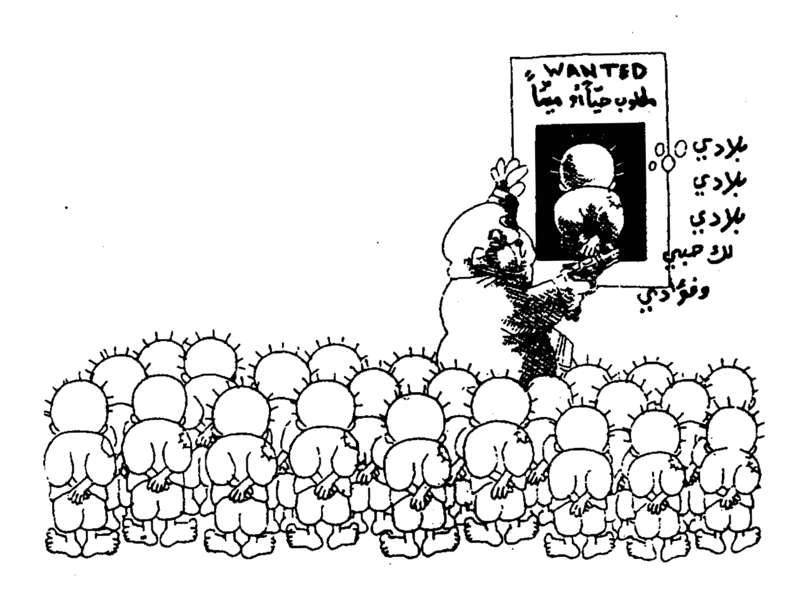
تَكَسَّرَ فِي السَّقْفِ ضَوْءٌ عَلَى الفُنْدُقِ المَرْمَرِيّ
سَأَلْتُهُ أنْ يتجَوَّلَ حَيْث إوَزٌّ يَعُومْ
أجَـابَ :
« أنَا لاَ أُحِبُّ فَنَادِقَ سِتِّ نُجوم »
طلبتُ لَهُ قَهْوةً كَالْحَليبِ
تَمَلْمَلَ فوق الأريكةِ قَال :
« بِـلاَدِي »

فَقُلْتُ « تَلاَءَمْ حَبِيبِي »
فَصَـاحَ :

« بِـلاَدِي »

فَعَيَّطْتُ :
اسْ ... كُـتْ

.................بَكَـى
يَـا...................



بِـلاَدِي

ألاَ

يَذْكُرُ

آلُ ... قَارِىءُ الحَنْظَلِيُّ ؟

الجريدةُ قَدْ أَخَّرتْ قَهَوَاتِ الصَّباحِ

وحنظلةٌ عَضَّنِي مِنْ دَمي

ثُمَّ

شَوَّشَ رُوحِي

رَمَى بِالعِقَالِ عَلى القَلْبِ

ثُمَّ

اخْ

تَفَى هَارِبًا فِي العَلَمْ



ألا تَذْكُرِيـن ...
أيا «أمَّ خالِد»
أنا يَوْمَها قَدْ نَسِيتُ قَفَاهْ

تَنكَّر وِلْدَانُ هَذَا الزَّمَانِ
فَوَا وَلَدَاهْ
وَهَلْ صَارَ فَرْخٌ يَزِقُّ أَبَاهْ

....
وأمسكتُ بَيْنَ الأصابع جُمْجُمَةً قُنْفُدِيَّة
رَسَمْتُه قُرْبَ حُدودِ التَّلاؤُمِ ...

.... نِمْتُ ....

.... يَجيءُ ...
الفَتَى طارقًا بَابَ كُلِّ مُخَيَّم

وقيـــل

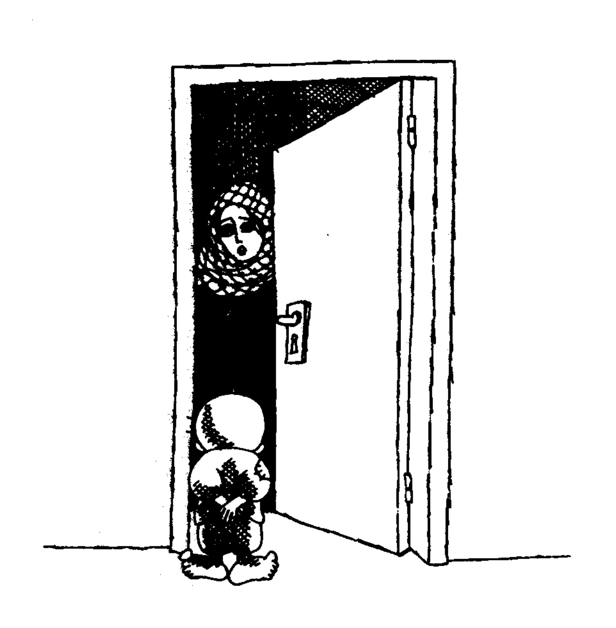
« هُنَا وطنٌ في العيونِ سَيَكْبُرْ

فَهَلاًّ كَبُرْتَ أَيَا حنظلةْ »

أجــاب

« سأكبرُ يَوْم تَصِيرُ الفضيحةُ أصْغَرْ »

وَ ...



وَقَالت لَهُ امرأةٌ من صَبَاحٍ ونارٍ وَ«حَيْفَا» :

« أُزَوِّجُكَ الآنَ بِنْتِي
فَهلاَّ تَقَدَّمْتَ يَا حنظله»



أشارَ إلى قَدَمَيْهِ :
« حَمَاتِي العزيزةَ كَيف سَأُقْدِمْ
وَجَيْبِي حَافِ
وَلَوْ شَاهدتْهُ العروسُ لَصَاحَتْ :
« حَبِيبِي حَافِ
أَهَذا الّذي سَوْفَ يَدْفَعُ مَالَ المُقَدَّمْ »
وقالتْ لَهُ امرأة من صباح ونارٍ و «حَيْفا» :
« ولكنَّ مَهْرَ العرُوس تصاويرُك المُهْمَلَهْ »

عَصافيرُ حِبْرٍ تَشُقُّ المذابِح

وَطَارَ الفَتَى في المَنَام
يَشُقُّ الخُطى نحو أرشِيفِ رَسْمِي الّذي رَفَضَتْهُ

الصَّ خ ا ف ة

وقبل الوصول تَفَطَّنْ :
« حَــرامٌ
« عَروسي سَتَعْنُسُ فِي الإِنْتِظَار
« عَلَّي بِقَوْلِ الحقيقهْ :
« عَروسِيَ : لَحْمٌ وَدَم
« وَهَا أَنَذَا : وَلَدٌ مِنْ مِدَادٍ »

وَلَّف رُجُوعًا
تَلَفَّتَ حَتَّى عَرِفْتُ قَفَاهْ
وَفَرْزَرْتْ يَدَاهْ
مِنَ الظَّهْرِ
لاَمَسَتَا الجَفْنَ مِنِّي
......

.....

.....

.....

..... [illegible] ....

عَلَى الوَرَقَهْ

وَأَلْفَيْتُ طِفْلَي مُلْقًى
وكلّ الخطوطِ مَحَاهَا الشَّقِيُّ بلا شَفَقَهْ
وَإنَّ الجريدةَ / الحيوانَ المداديَّ لاَ لَيْسَ يَرْحَمْ

وَضَاقَ المَسَاءُ
فَمَاذَا سَأَرْسُم
أجــابَ :
« مَنَامَك آرْسُمْ .
وَرَنَّ الصَّدَى ... سُمْ

لحنظلةِ اِستَمَعْتُ :

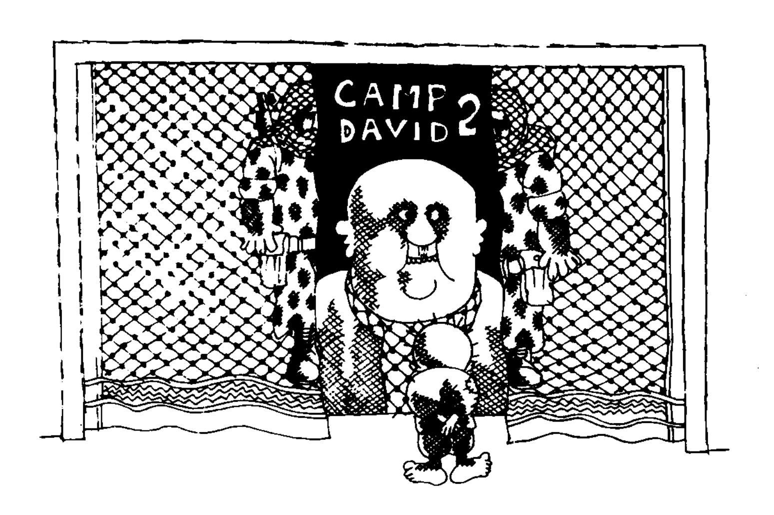
« عَلَى إثْرِ هَدْمٍ أفَقْتُ أيا أبتِ
بِكَفّي : سَقْفِي
وحمدلةٌ قال لي



كَرِهْتُ النَّصائحَ
مَا كان بيتي زُجَاجْ

خِيَامُ «**الدّهيشة**» تَشْهَدُ من «**بَيْتَ لَحْم**»
وهذي الحجارةُ من صُلْبِهَا بَعْدَ هَدْم
تَسَاقَطَ سقْفِي
بِكَفِّي
ولا بيتَ لِي ... غيرُ هَذَا الهِيَاج
كرهتُ الفَضَائِحْ
هُنَا سَقْفُنَا واضِحٌ ،،، كَالخَرَابْ
واضِحٌ
لاَ غُرَابْ
عَلَيْــهْ ،،،
سِوَى
حَمْدَلَهْ

« **لَقَدْ** أتعَبَتْنِي حُدُودُ التَّلاَؤُم يَا أُبتِ
أنَا : قَطْرَةٌ مِنْ سَوَادِ الحقيقةِ فَوْقَ بَيَاضِ الوَرَقْ
تَنَاسَخْتُ في كلِّ فَجْرٍ عَلَى عَجَلاَتِ المَطَابعْ
وأسرجتُ ظهرَ الصحيفة
كُنْتُ أسُوقُ الصَّحيفَةَ بَيْنَ الأصَابعْ
وَدُونَ لِجَامٍ
ودون احترامٍ لقانونِ سَيْرِ الطَّريق التي رَسَمَ المُتلائم



ألا تذكرين

أيا « **فاطِمة** »
يا «**حنيفة**»
قَارئتي الحنظليةَ هَلْ تَذْكُرين « **تأبّطَ نَشرًا ؟** »

صبيُّ الجرائدِ يركضُ
بَيْنَ رصاصِ المَطابع
بين المدافِـع
صَبِيُّ الجرائد يَقْفِز فَوق عظام الفَواجِع

(حَيْثُ بَكْرَةُ شريطٍ تَدُور في عينِ «**هاني جوهريّة**»
وقصة أطفالٍ لَمْ يُكْمِلْهَا «**غَسّان**» لِـ «**لَميس**»
وَدَمٌ لَمْ يَيْبَس فِي ذَاكرة «**فردان**»
وأصابعُ «**علي فودة**» مُمْسكةٌ بـ «**رصيف**»)

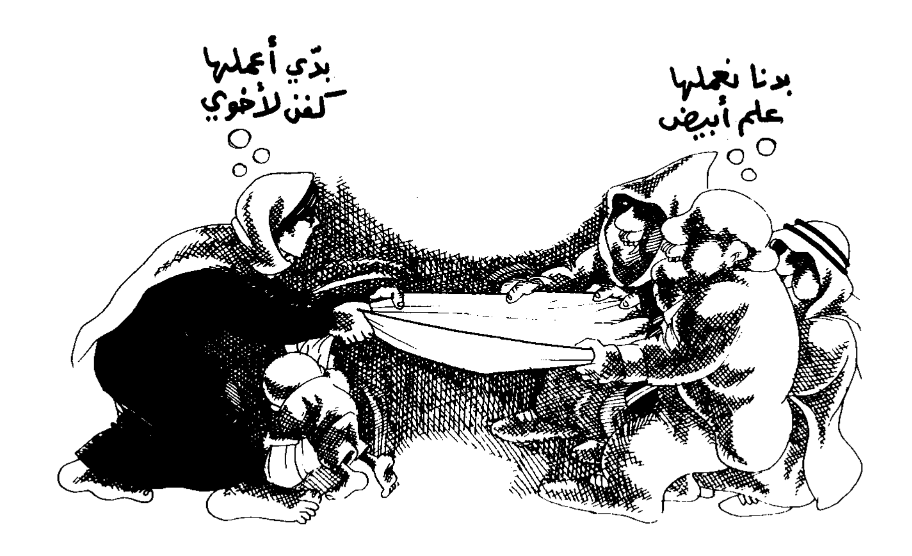
صبيُّ الجرائد يَلْهَثُ في شارعٍ غَيَّبَتْهُ حُروبُ المَواقِع
وَأحْتاج حِبْرَك
أنْتَ المُجيب أيا وَالِدي :



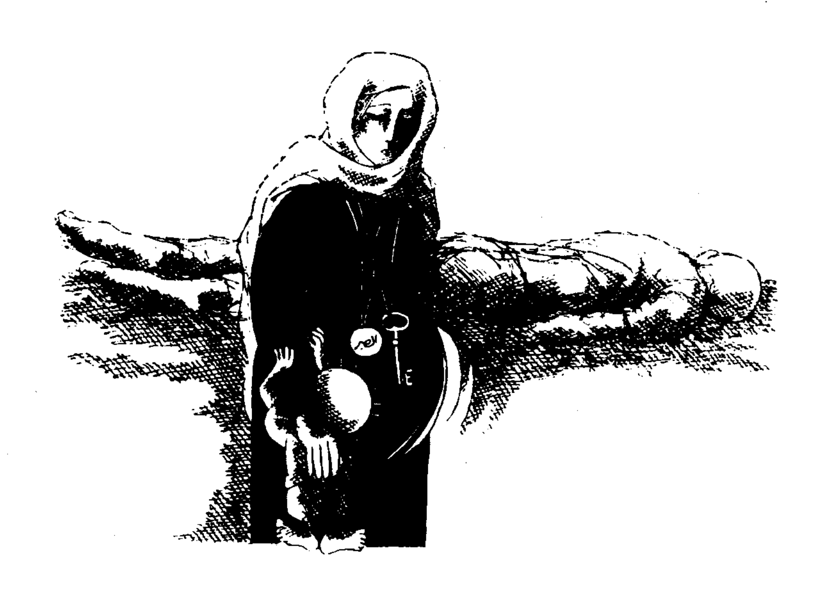
« لم أزَلْ وَاقِفًا فِي المَواجع »

وَصَوْتُ صَبِيِّ الجَرائِدِ يَرْكضُ أَبْعَدَ من جِسْمِهِ
مَضَى الصّوتُ مُسْتَنْفِرًا فِي الفَضاءْ
ثَقَبُوا صَوْتَهُ
وَنَجَا جِسْمُهُ
وَٱلْتَوَى الصَّوتُ بيْنَ الأَزِقَّةِ
ناديتُهُ :
« يَا فَتَى
قُمْ وبِعْنِي
الجريدةُ تَيْبَسُ كَالخُبْزِ
هَيَّا »
الصَّبَاحْ
تَثَاءَبْ فيه الصِّياحْ
وهذي فراخٌ عَليها يَحِنُّ الجناحْ
بِلُطْفٍ أُلِحُّ
وفي السِّرِّ أَلْعَنُ شُبَّانَ هَذا الزَّمَان
يُريدُونَ مَجْدًا وَلاَ يَعْمَلُون
« أجِئْنَا لِنَلْعَبَ يَا صَاحِبي !
« قُمْ وَغَيِّرْ نِدَاءَك :

« هَيَّا اشْتَرُوا صُحُفِي لِلسَّوَادِ الّذي في عُيونِ العَلَمْ»



تَلَفَّتْ وراءَكَ



سَيِّدةُ السُّنْبُله

أضاعَ الحصادُ الأخيرُ فتَاهَا الأخِيرْ

ألاَ قُمْ وبِعْهَا خَبَرْ

لَعَلَّ الفَتَى ...

ذَاقَ .... ـــ .... أوْ لَمْ يَذُقْ رشفةً في الحصادِ الأخيرْ

هُوَ ـــ أوْ ـــ هِيَ الموتُ كأسٌ عَلَي كُلِّ نَفسٍ تَدُورْ

ألاَ قُمْ وبِعها الجَريدةَ مِنْ قَبْلُ أن تَحْتَسيها الشَّوارع

صحيحٌ لنا ميتةٌ ... فَلْنَمُتْ عارِفِينَ   وَنَـــادَيْـــتُ :

« يَا ابنَ الحلال
فَلَمْ يَستَمِعِ في الدَّوِيِّ السَّخِيِّ
قَرصتُـهُ
فَلَمْ يَنْتَبِسْ
لمَسْتُ يَدًا تَرْتَخِي
في الزَّ ... ,,,,فير الأخيرْ
وما غيرَ (قَافِ) سَمِعْتُ
وَ ...... بس

وأقصدُ : لاَ شَيْءَ غيرَ
بياضِ الصحيفةِ مختلطٍ
بمياهِ الصّبي يُروّي جُذورا يُكَمِّلُ
خُضرَتَنَا الشَّجَرة
وَغَيْرَ مِدَادِي

أَبِي يَـا بِـلادِي

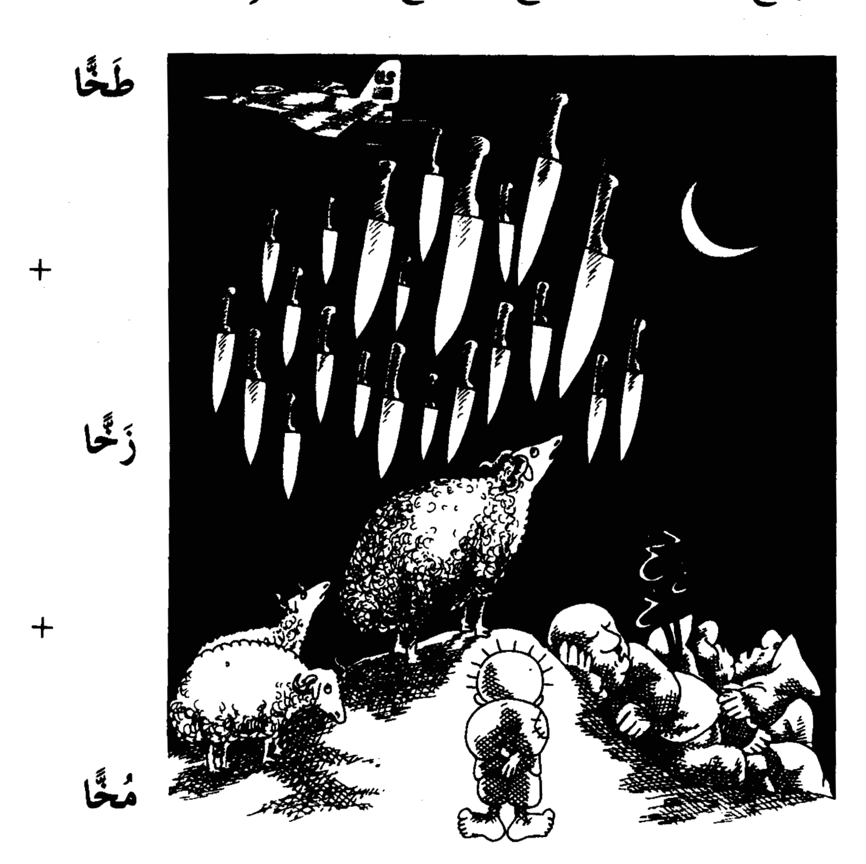


أَهَذا الّذي
كان ينقُصُنَا
عِنْدَ رَسْمِ العَلَمْ

ألا تذكرونَ ازْرقَاقَ الطفولةِ في الزَّمْهَرير
فحنظلةٌ يَتَسَلَّقُ سُلَّمَه الدَّمويَّ
وَيَطْرُقُ حِبْري

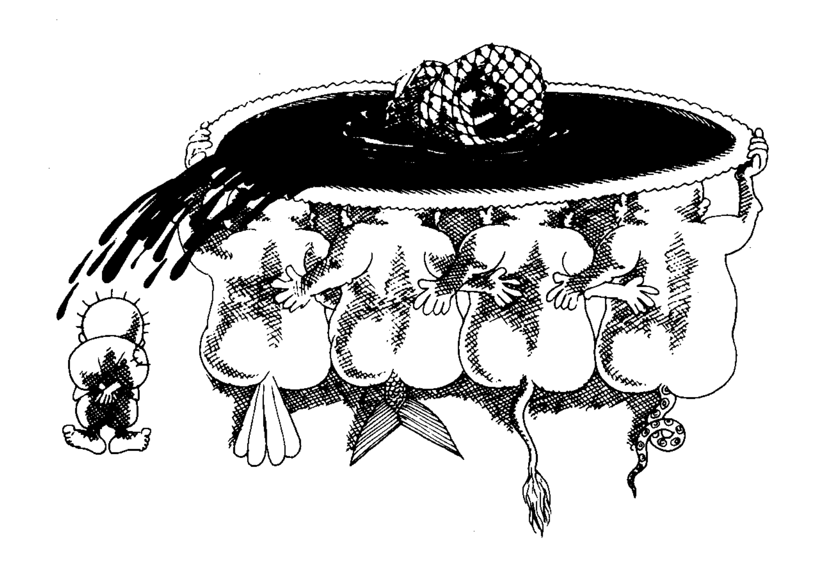
وَحَمْدَلَةُ المُتَلائمُ
أَوْثَقَ نَاقَتَه فِي المَطار الأُوروبِّي
تَرَجَّل صَنَوْبِي
تَهَوْدَجَ فيهِ الغَبَاءُ المُسَلَّحُ ،، يَرْفَعُ لأَفِتَةَ الخَاءِ

طَخًّا
+
زَخًّا
+
مُخًّا



يُساوي الزّمان الخَـ .... وَاء
فَيًا للعيونِ العِجَاف ويا للخِرَا ... فْ

أَنَاخَ الخِلافُ المُدَجَّجُ فوق شوارعِ « بلفُورْ »
والبيدُ خاويةٌ مِنْ سباقِ الخُيول
نَوادِي الخَيْلْ



نَوادي اللّيلِ بالدّولّار تَعْرِفُ حَمْدَلَةً لِتَضِيقَ
الشَّوارعُ بِضْعَ ثَوانٍ
تَضيقُ الثَّواني
إلَـى أنْ
يَمُرَّ السَّلامُ الزُّكَامُ إلَى .... الأنـفِ

الثّلجُ أحمرُ من أنفِ « ناجي »



بِــلادِيَ تلــكَ

وبيّارةُ البرتقال على غُصنِها أوْصلَتْ ولدَ الصفحاتِ

الأخيرةِ للعَيْن دمعًا تَحَجَّرْ

وحنظلةٌ عند دَمْعة حبرٍ تَكَوَّر

وَمِنْ **«أمّ قيس»** يَهِمُّ إلى **«طبريّا»** ذَهابا

ويشتاقُ لَمْس ذُرَى « **النّاصرة**»

وَصَـــار ...
يَفُكُّ يَديْهِ من القبر مُسْتَحْضِرًا رُوحَ ذاك الزميلِ القديــم



« أيا صاحب «البرتقال الحزين»

ألا آذكُرْ معِي

شَمَمْنَا الهواءَ معا

(وكَانَ ذَلِكَ عَام «**عز الدين القسّام**»)

سَمِعنا بنفس السنة

سمعنا بِـ «**غرناطة**» التّلفونَ «**يرنْنْنُ**»

رَفَعْنَـا
اسْتَمَعْنَا إلى الدَّمعِ فِي وَجْهِ «**قرطبة**»
ــ ما الخبـرْ ؟
وقرطبة قد أضاعَتْ حبيبَ **الغَجَرْ**
وصــار القمــرْ
يُطِلُّ علَينا ــ تَمَامًا ــ كما كَانَ



«لورْكَا»

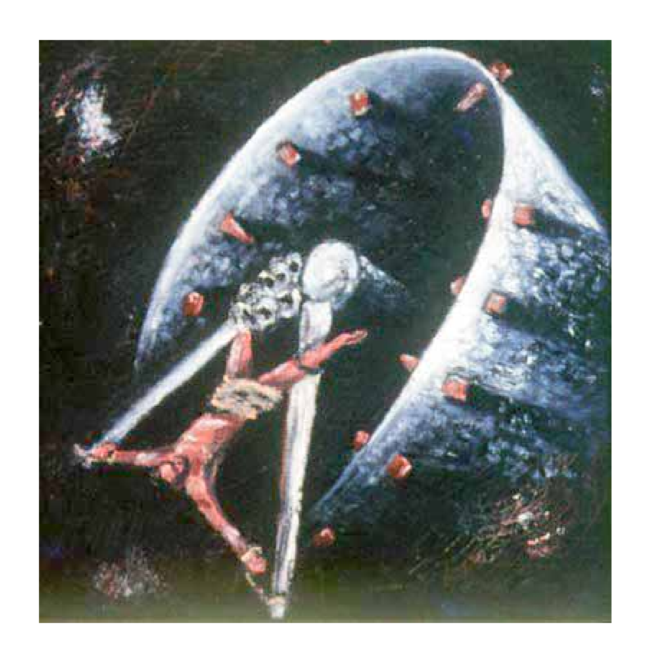
أمَرْ

وَبِتْنَا نَعُدُّ نُجومًا هَوَتْ كَالحَصَى
ونُحْصِي الّذي قَدْ تَبَقَّى لَنا في المَنَافِي
أفَقْنَا عَلَى الحَربِ
والحبـرِ
نِمْنَـا
« هَل الثّورُ مُنْتصرٌ والمُصارعُ ملتحفٌ في دماءِ العَلَمْ »
أُكُنَّا حَلُمْنَـا
شَمَمْنَا على العُشبِ خَطوَ الهواءِ الغريبِ
اخْتَنَقْنَـا
وما جوف خَزَّائِنَا غَيْرُ حِبرٍ
كَأنَّا اخْتَمَرْنَا بِوِجدانِ محبرةٍ واحدة
طَرَقْنا على فوهة المحبرة
طَرَقْنَا
فما نزَّ منها سِوى قَطْرتَيْنِ اثْنَتيْن ...
اقْتسَمناهُما مثل زُوَّادةٍ في صحارى الصَّحافة حيثُ
الحروفُ : عرائسُ مختونةٌ بالمَقَصِّ

وقالَتْ لنا المِحْبَرة

« وَهَذَا المدادُ قَديمٌ فلا تُهْرِقَاهُ »

....



رَسَمْتَ

كَتَبْتَ

أخيـرًا

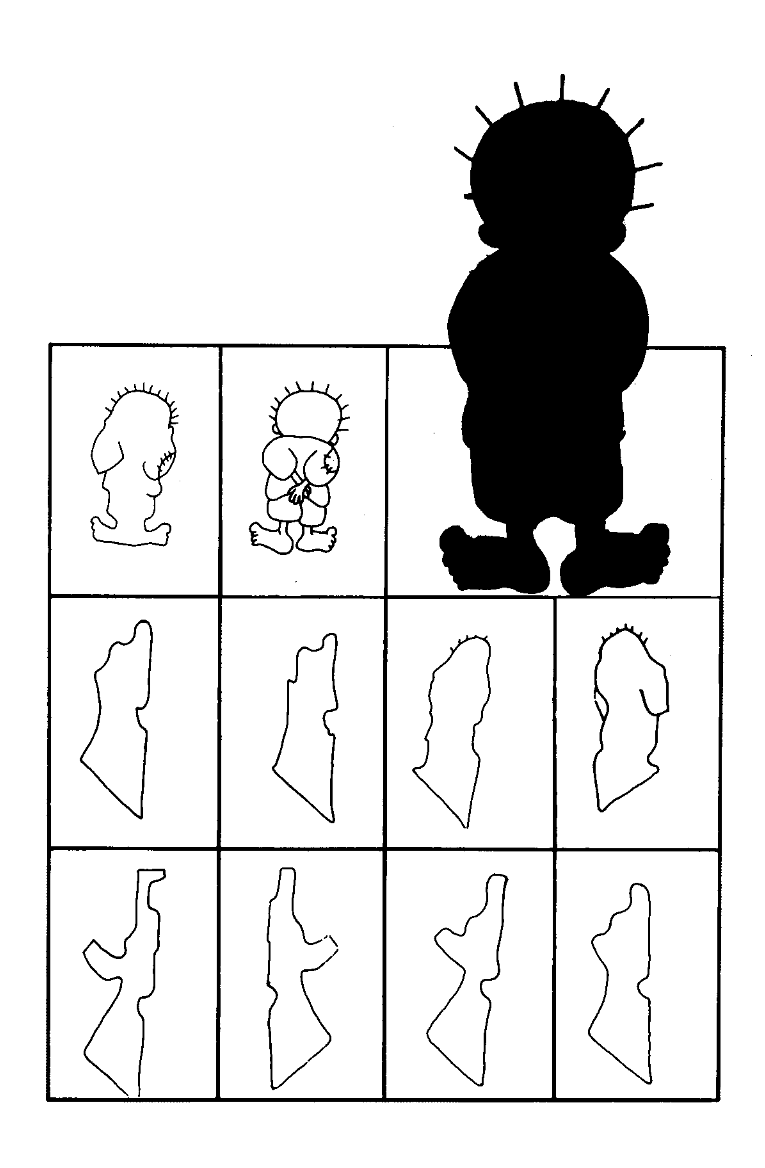
.....

كتبتَ بِحَرْف الهِجَاء

رسمتُ بخطّ الهِجاء

ويومًا فَيومًا تَكَوَّر حِبري

وقطرةُ حِبري الّتي تَتَكَوَّر
تَزيدُ انتفاخًا بِحَجم الهُمُوم
نَكَشْتُ القُطيْرَةَ
سَالتْ خطوطٌ
إلَى أنْ ..... إلى أنْ ..... إلى أنْ ..... **إلَى أنْ**



أطَلَّ الفَتَى حافيًا مِثْلَ إبْرة
لِيَكْسُوَ رَسْمِي ويَعْرَى

وفي كلّ يوم يُؤلِّفُ نظرة
ويَحْرسَني مِنْ طريق الضياع
وَجْهُه : عَادةٌ لِقَفَاه
وَالقَفَا : وِجْهَةٌ لاَ قِنَاع
وسمَّيتُه : حَنظلة
وَبَاسَهُ كُلّ حبيبٍ سِوَى ....



حَمْدَلة ....

وطفلي في كُلِّ فجرٍ يُقَدِّم زَهْرَهْ
ليجْمَعَ من عِطْرِها الأصدقاء
وَمَرَّةْ
بأعلى الصّحيفة في الفجر صاح :
بِلاَدِيَ : قِبْلَه
وَإنَّ المَنَا رِفي : ضياعُ الصَّلاَةِ



إليه
أفي كُلّ يومٍ نُؤجِّلُ رِحْلَهْ

وحمدلةٌ فَجْرَها قَدْ تَهَيَّأْ
ليُسْرِجَ بَغْلَهْ
ويركبَ رِجْلَه
ويَخْلَع نَعْلَهْ
ليكتُبَ رَدًّا عَلَيَّ :

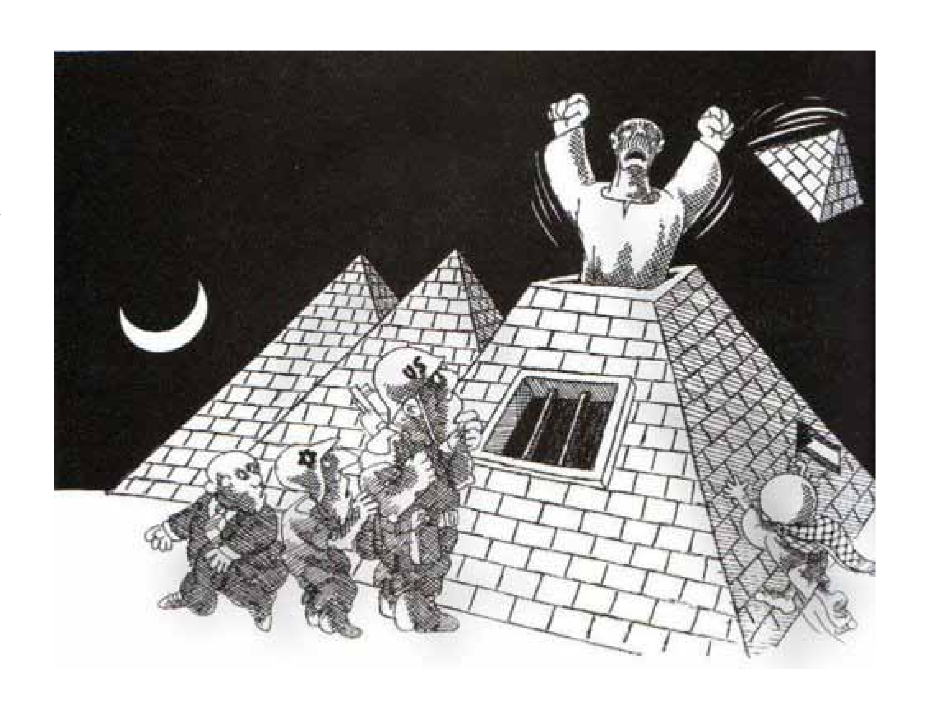


« حَذَار حذار أَبا حَنْظَلَهْ »

وكان الذي في الفُؤادِ يَرُدّ ـــ يُرَدِّدُ

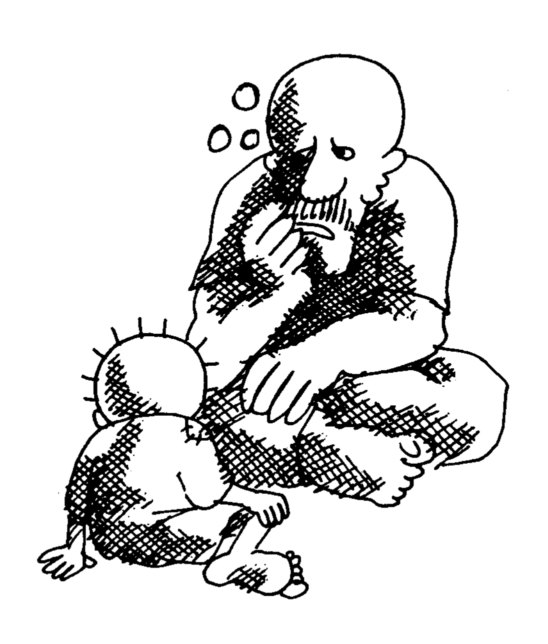
« خذارِ حذار »

أبي لا تَخَفْ مِن زهور البلادِ



ولا لا تُساوِمْ

فحَمْدَلَةٌ دُون أنْف »



لنفسي أقُولُ :

« أكُلٌّ يَقُولُ :
« حذارِ »

أيَنْصَحُ ابنٌ أباهْ
أيذبحُ ابنٌ أباه
لِيَكْبُرْ
ليكْبُرْ
فقد يذبَحُ الطّفلُ يومًا أباهُ لِيُزهِرَ أكْثَر

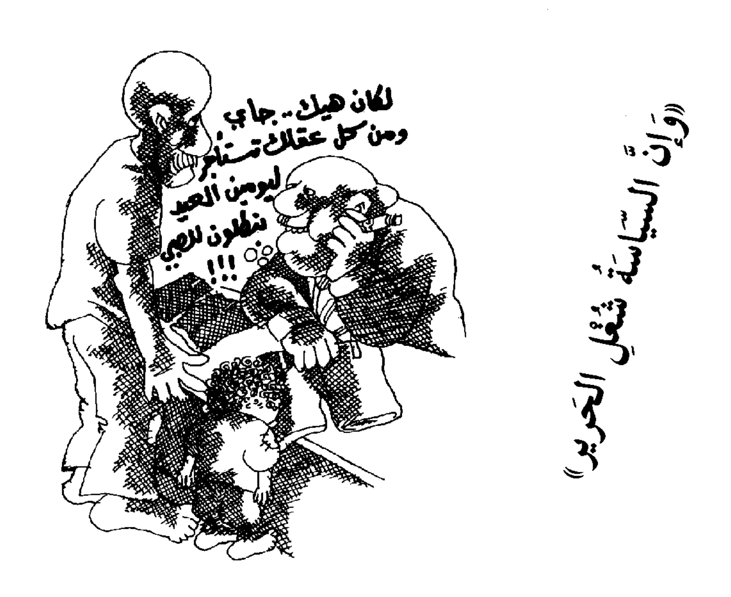
وأيْضًا أنَا سأقُول :
« حذارِ
« حذار ... فَقَتْلُ أَبِيكَ يُوَشِّمُ في النّفس حُزنًا مُقيمْ »
..... شَرَدْتُ ....
كَأنّي حَلُمْتُ ...
بأنّي قَتَلتُ صغيري ...
وكِدْتُ أصدّق

وصارت يداي مُلطّختَيْنِ بِفنْجانِ حِبْرِه



وصرتُ أحدِّق
لأقرأ خَطًّا بِكَفِّهْ:
لَهُ بَصْمَةٌ لم تُصَفِّقْ

كأنّي حلمتُ بِأنَّهُ يَكبُرْ
ويَقْوَى عَلَّي
كأنّي ــ لَعَلَّ ــ كَأنّ ــ لَعَلّي
كأنَّ المنامَ يَطُولُ على ظهرِ زَوْرَقْ
هَل الحُلْمُ وَرْدٌ إذَا كُنْتُ أعْشِقْ
وكان المنام يَطُولُ وكنت أصدِّقْ
أم الحلمُ كاتمُ صَوْتٍ ولونُه أزْرَقْ
لَهُ في البيان بكاتمِ صوتٍ مقصٌّ ومنطقْ؛



أشَرْتُ إلى رأسِ طِفلي الصَّغيرِ

« بِعُمْرِكَ هَلاَّ رَأَيْتَ القنافِذَ رَافِلَةً في الحَرِيرْ »
وطِفْلِي حِبْرًا عَلَى الصّفحاتِ نَزَلْ
وُمنْذُ الأَزَلْ
مِنَ الحِبْرِ مَا قَدْ قَتَلْ
سألتُ فضيلةَ شيخ الفَتاوِي :
«أفي الرّسم إثْمْ
سألتُ البَلاَغِيَّ أَلْمُتَفَيْهِقَ ، دُكتورَنَا في الجِنَاسِ :
«أفي الرّسم مَعْنًى لِرَمْس
ترى هَلْ سَرَحتُ قليلاً ...



ترى هَلْ شربتُ كثيرًا من الحِبْرِ لَيْلَتَهَا ... فشَتَمتُ «النيابةْ»

وَصار لِسَاني بِغَيْرِ لَجَام تَمَرَّغ فوق حُقُولِ **الكتابةْ**



تـــرى ...
هَلْ حِصَاني تجاوز حَدَّ «**الرّقابةْ**»
تُرى هَلْ شَتَمْتُ
فَهَلْنِي شتمت
وَهَبْنِي فَعَلْتُ
أفي الشَّتْمِ مَا يَمْنَحُ **الرّوُحَ** وَزْنَ **الذّبابةْ** !!
لِيَصْطَادَنِي حَمْدَلَه

وأُقسِم
بهذا البلد
وحقّ الولد
على لا أحد
مَا جنيتُ ولكنَّ طِفْلِي امتدادُ ذِراعي



مِنَ القَبْرِ يومًا يَجِيءُ على شَكْلِ زَهْرة
وعنقودِ فكرة
وصَخْرة
عَلى رأسِ أعْدَائِنا

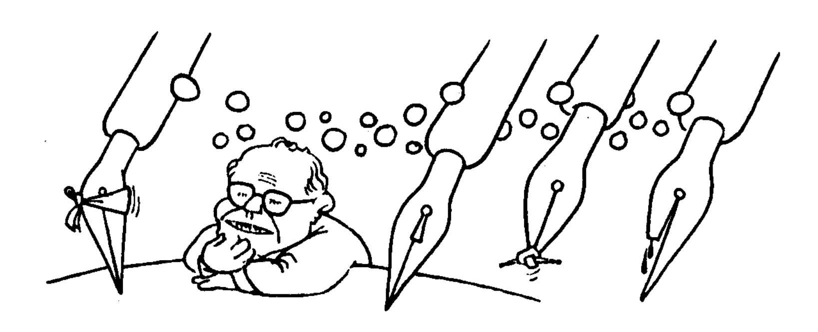
يُقَاتِلُنَا : حَمدلةٌ
نَصَحْتُهُ من قبلُ قَتْلِي بألاَّ يتابعَ ظِلِّي
فحنظلةٌ : زِينتِي في الحياةِ الدّنيئةْ
وأيْقُونَتِي
لاَ تُبَاع
ألَمْ تَرَ كيف كُرومُ العِنب
سَقَتْهَا السِّبَاع
وقد جاء صيفُ الغَضَب
ألَمْ تَرَ كيف الكروم جَنَتْها الضِّبَاع
وجاء الشتاء
فَخِفْتُ عليهِ بِغَيْرِ حِذاءٍ : « سَتَمْرَضُ يا ابْنِي »
رَبَطْتُ حِذَاءَهُ بِالحِبْر يَوْمًا فَصَاحَ :

« أبي لاَ تَخَفْ
فَجِلْدِيَ : مِحرارُ نَبْضِي
لألْمَسَ أرضي»

وَذاكرةُ الأنفِ تَخْزِنُ مُنذُ الرّحيلِ عَبيرَ الأمَاسِي بِشَاطِىءِ
«حَيْفا»
وذاكرةُ العين دَوْمًا تَغُصُّ إذا شَافَتِ العَيْنُ لَحْمَ الأهالي
بأسواق لنـدن
وَفي دَمْعَةِ البرتقال المُصَدَّر
وذاكرةُ الكَفِّ ... وَارتَعَشَ القَلْبُ بين الجُفُون
فَأيْنَ سَأُخْفِي الحَنِينْ

وتَلْسَعُنِي في **فلسطينَ** نَوَّارةُ البرتقال

« تَحَيَّل وإلا فَقَدْتَ رغيفَ العِيال »



يُلِحُّ المقصُّ الصَّحافِيّ

ـ وَلكنَّ لي وَطَنًا صَارخًا كالجَمَال



يَقُولُ المِقصّ الصِّحَافِيُّ ،



قَالَ المِقصُّ الرئيس المحَرِّرُ قَاقَ :

«تَخَيَّلْ
أضِفْ نقطةً وَ
تَخيَّل تَحَيَّلْ عَلى الإحْتلال
وَإلا مَقَامُك يَغْدُو مُحَال

أنَا فِي الحقيقةِ قَدْ كُنتُ مِثْلَك
تَصَعْلَكتُ حِينًا مِن الدَّهر
كُنْتُ أقودُ مُظاهرةً في الصَّباخ
وَصَوتي به لكنةٌ تَسْحَرُ الطّالبات
وعندي جيشٌ من الحارسين وجندٌ من الآنسات
وأخطبُ فِيهم بِكلّ الحماس القتاليّْ
وخوفَ اعْتِقَالي
تَدُسُّ العَجُوزُ (التي هي أُمِّي) تَدُسُّ التَّعاويذَ جَوْفَ
القَميصِ النِّضَاليّ
(لكيْ لا أُصَابَ بِعَيْنِ النِّظَام)

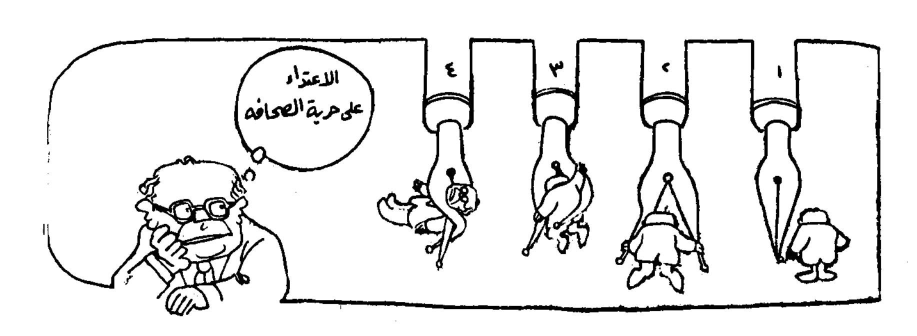
إِلَى مَطلع الفجر كُنَّا نُنَاقِش
فَثَمَّةَ مَسْألتان اثْنَتان :
مُرور السَّلام الزُّؤام
وتقويضُ صَرْحِ النّظام
وَكُنَّا ... نُشَقِّـ ... ـقُ نافذةً لِمُرورِ السَّجائر
وللمرأةِ العربيةُ دورٌ رِياديّ
أَلَمْ تَرَ كَيف الرقيقةُ هذي الرفيقةُ صامدةٌ :
تطبخُ الشَّاي للجّنةِ المركزيّةِ وهي تُنَاقِشُ حَتَّى ...
.... اِعْتقالي وَقَلْع الأظافِر
وَمِنْ بَعْدِ عَفْوٍ خَرَجْت من السّجْنِ
وحين رأيتُ الرفيقهْ
عرضت الزَّواج عَلَيْها
ومنَّيْتُ نفسي بِفَتْحٍ مُبِينٍ
وَكَبْشٍ سَمينٍ
ولكن ...
خَروفي
أُريق عَلى جَانِبَيْه دَمٌ قبل عيد الدّماءِ
فَماذا أقولُ لِذاكرة **المتنبّي**

وفي الروح خيطٌ رفيعُ الأذَى
فَوَا خَيْبَتَاه !
لَقَدْ شُرِخَ الشرفُ المُفْتَدى
أنَا الثّائرُ الشّهْرَيَارُ
خرجتُ من السجن يومًا
رأيت البطالةَ ... صافحتُها ... أدْخَلَتْني كَوابيسَها
... فَاسْتَفَقْتُ أُحرِّرُ في ... مكتبٍ فاخرٍ ... بورجُوازي ...
شَرَعْتُ أُصَحِّحُ أخْطاءَ بِنْتِ الرئيسِ المحرّر
(صاحبِ حقٍّ انتهازِي)
سريعًا أمرُّ أمام المقاهي لعلَّ رفيقًا قَديمًا يَراني
ويهتف : « غدًا نَلْتَقِي »
... فَيأتي الرئيسُ المحرِّر
يهتِف : « غَدًا تَلْتَقي نَجْمةً في الغِنَاء »، فَيَا أيُّهَا
الفَلَكيُّ تَرَفَّقْ إذَا مَا بَدَأتَ حِوَار النُّجوم ولا تَتَعَمَّقْ
مع الفيلسوفةِ نَجْمَتِنا في الغلافِ
ويضحـــكُ
أبكِي »» ..... فَيَا لَلْبُنَيَّةِ
كانَتْ تُغَنّى نِضَالاً بحُنْجُرة من حَليب النُّعَاس
وتعشقُ خوفَ العَصَافِير مِنْ فكرةِ الحَظِّ يومــا على شعرةِ
الشاربِ « البُولشفِيِّ » الشهير

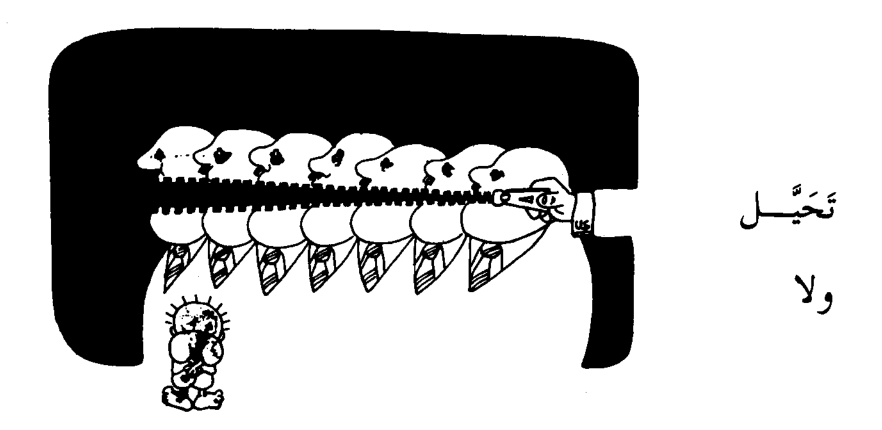


و ... يا حَسْرةً
يَا زَمَان الحَمَاس
ويا للصَبِيّةِ ريفيّةً من سَمَاءِ جَنُوبِ الجنوب
تجيءُ إلى العاصمة
ومشطتها الغَجريّة قد بدَّلَتْها
التَقَيْتُ الصَّبِيَّةَ
لم نَذكر الذكريات ... غَطسْنَا معًا في القَرار
تَنَهَّدَ منها الجوابُ ... وما حَدّثَتْنِي عن الأغنيات
الجديدةِ ... ودَّعْتُها لأفصِّلَ جِسْمَ الحِوارِ غَدًا فِي
الجريــدة

تَبَسَّمَ صَمْتُ الرئيس
وَسَلّمَني باليمينِ المقص :
تَسَلَّمْتُه باليَسَار



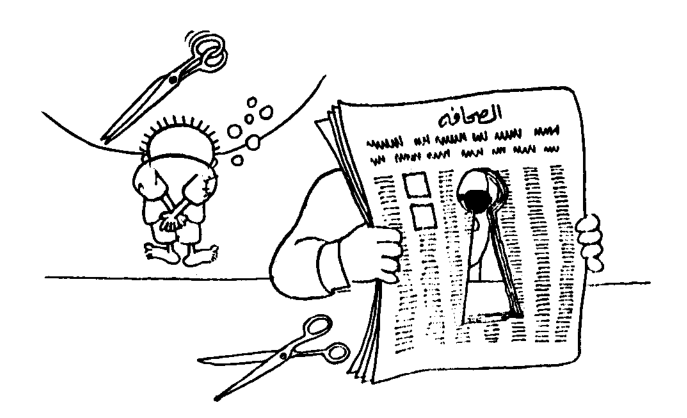
وَكُلٌّ يُعَذِّبنِي بالمكان :
فأهلُ اليمين يُخَنْدِقُنِي فِي اليسار
وأهلُ اليَسَار يُفَنْدِقُنِي فِي اليمين



تَحَيَّــل
ولا

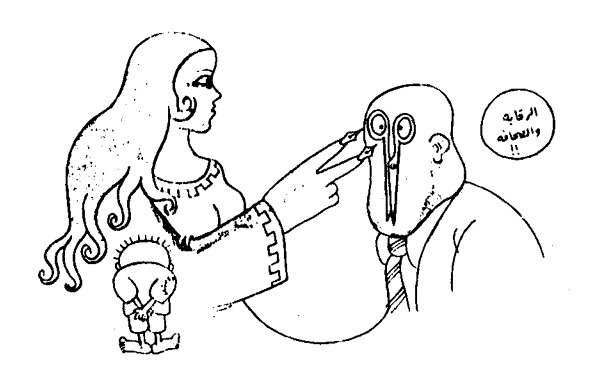
لا تَقُلْ:

«في يَدَيَّ المقصّ»



وَلاَ لاَ تَقُلْ:

« قَلَمِي جاهزٌ كالمِقَصّ »

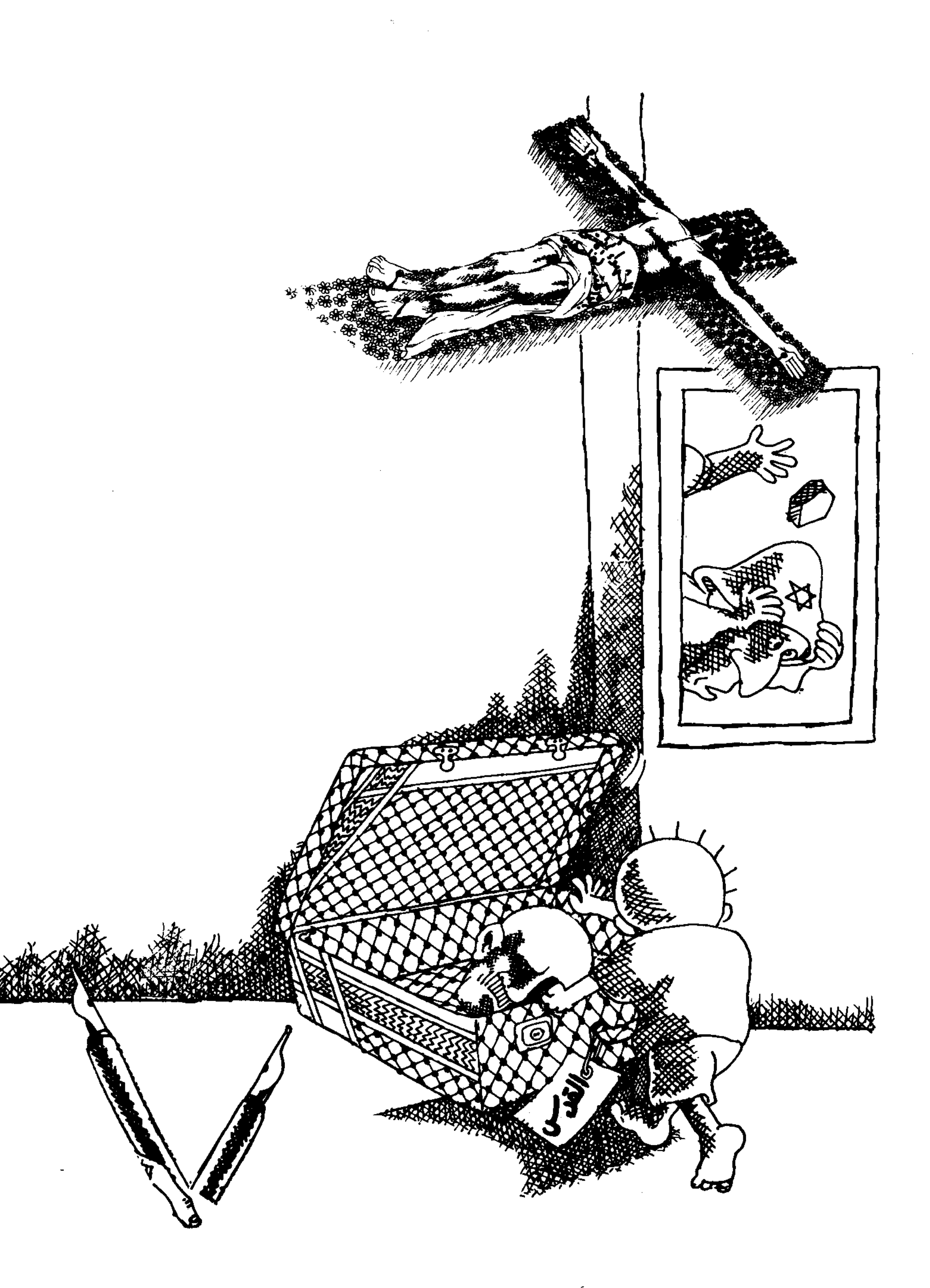


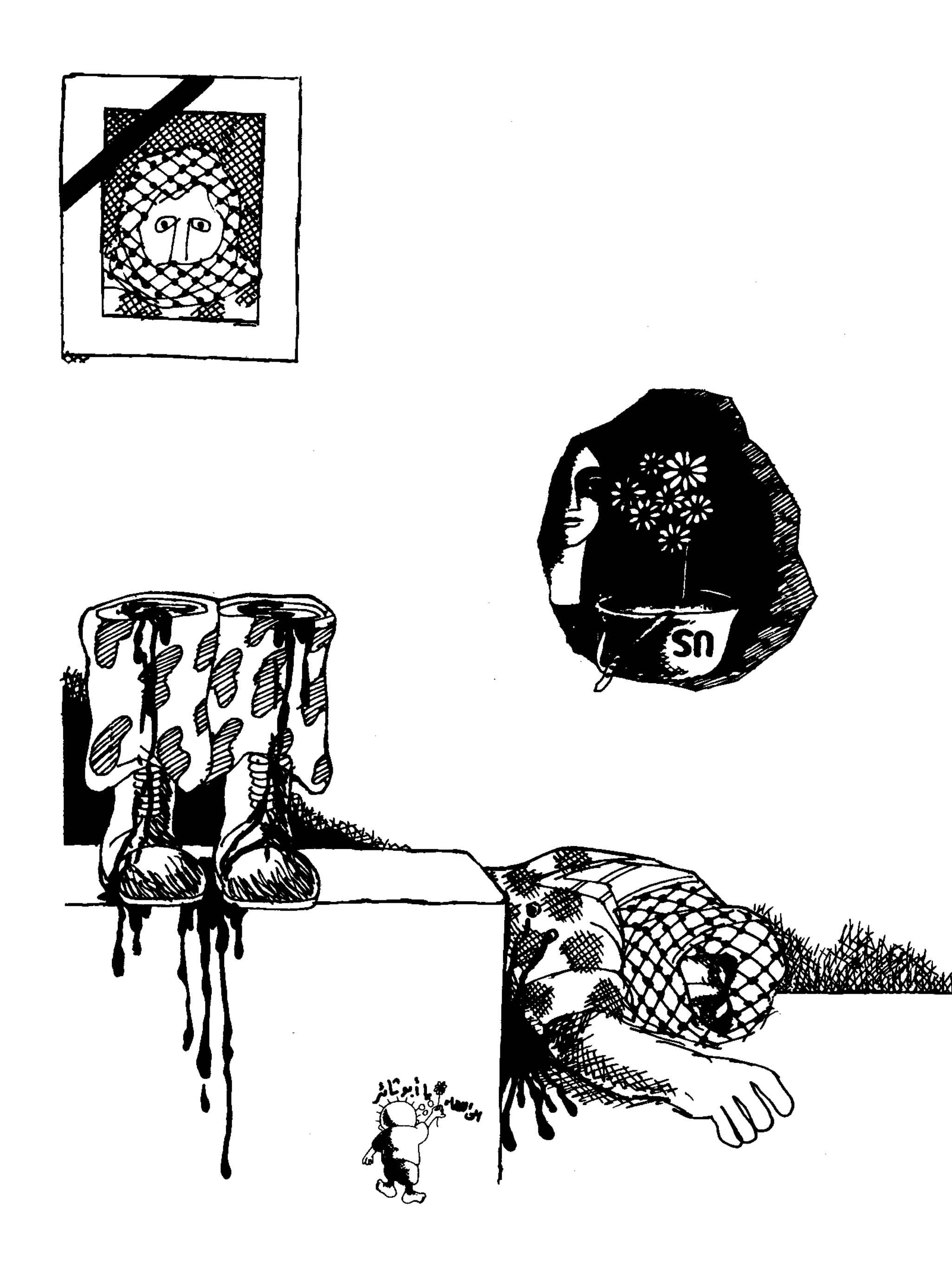
فَإنّـي : المِقَــصّ

أنا كنت مِثْلَكْ
ولكِـنْ
وَرائيَ بِنْتٌ تُحِبُّ أَبَاهَا وَلِي زوجةٌ بنْتُ خَال
وألبسُ بِذْلَتِي الوَطنيَّةَ فِي الإِحْتِفَال

وَظَلَّ المِقَصّ
يَقُصُّ القَصَصْ
وحنظلةٌ حَائمٌ في فَمِي
سائلٌ في دمي :

« أفيك دَمٌ أَمْ
مِيَـــاهٌ ؟
أهـذا دمُـك ؟
يَا أبي أم قَفَصْ »


القدس


الى اللقاء يا أبو ثائر

ـ تَمَهَّلْ بُنَيَّ
فَإِنَّ الذي فِيَّ فِيَّ
وَلَوْ قَطَعُوا لِي يَديَّ



تَمَهَّـلْ
فَيَصْـرُخْ
« متى سَنُغَادِرُ سجنَ الصحيفهْ »
ويفتح بَابًا وَيَخْرُجُ
يَدْخُلُ بَيْتِي المُؤَجَّرْ
وَيَسْبِقُني في اتّجاهِ الحقيبةِ
يَفْتَحُ صَدر الحقيبةِ

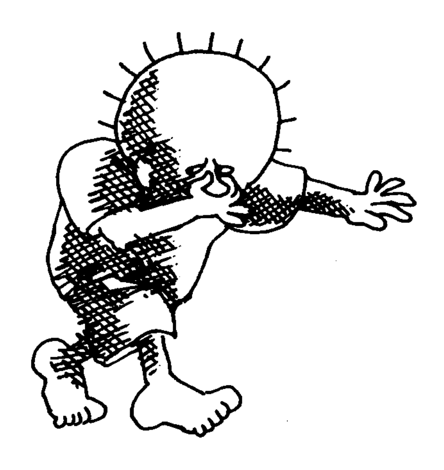
يَرْمي عَلَى صَدْرها مَا يَلِي :

صليبَ المسيح
الفدائيَّ مُسْتَشْهِدًا أوْ كَسيح
رسائلَ أهلِ الشَّتاتِ
وسيدةً ما تَبَقَّى لَهَا غَيْرُ مفتاحِ دارٍ
وذكرى تُطِلُّ على طَلَلِ الذِّكرياتِ
وَسَاقَيْ شَهيدٍ
وَيَرْمِي .... إلى أنْ ... تَغُصْـ ... صَ الحَقيبهْ
يحاولُ قَفْلَ الحقيبة
يفشلُ ......
يَسْـأَلُ :

كيف أدُسُّ السَّمينَ الثَّخِينَ بِلاَ قَدَمَيْنِ ، بِذَيلِهِ يَزْحَفْ



— بَسِيطَــهْ
فَذَلِكَ أجْوَفْ
إذَنْ ، إنْتَزِعْ ذَيْلَهُ
سُدَّ أنْفَكْ



هـواءٌ سيخْرُجْ
وَيغدو السّمينُ خُطُوطًا
تَصِيرُ الحقيبة جاهزةً للطريق
ولا تنسَ أقدامَ كلِّ الحُفاةِ
ولُفَّ الخُطى في العَلَمْ
لِئلاَّ تَضِيعَ الطَّريقُ
ولا تَنْسَ وجه المِقَصِّ
وحرْفَ الهِجَاء



وَلاَ تَنْسَ وجهَ الهِلاَلِ بِصَمْتِ الأهَالِي

وفي أشهُرِ الإحتلال

تَمُرّ الشُّهور

بِغَيْر قَمَرْ



وأصلُ الهلالِ : قَمَرْ

جائعٌ جائعٌ للحَجَرْ

من أَكُفِّ البشرْ

إذا دَقّت الساعة الحَجَريّةُ ... وَانْشقَّ صَدْرُ القَمَرْ



تَنَهَّدَتِ الأرْضُ زهرًا وفاح الحجرْ

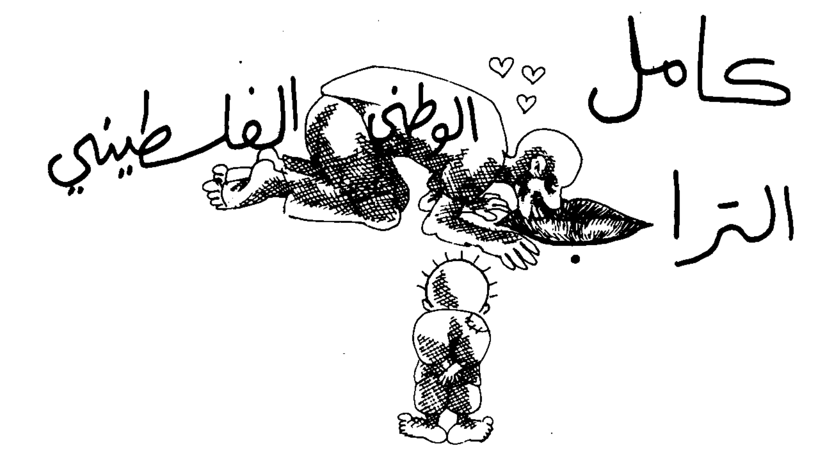
وَيَسْـأَلْ
بِأَيِّ بِلاَدٍ سَنَقْضِي
أقـولُ
ولا تنس خَلْطَ الوَرَقْ
وَخَبْطَ الفِرَقْ
وَالْتِبَاسَ الطُرُقْ
وَلاَ تَنْس مَنْ صَرَّخُوا زَمن الإنفتاح :
ألا اسْمَعُوني وَعُوني



فأحسنُ وضع قتالِيّ
هُوَ : الإنْبِطَاح

ولا تَنْسَ قَفْلَ الحقيبة

ـ إلى أين يَمْضِي الّذينَ مَضَوْا

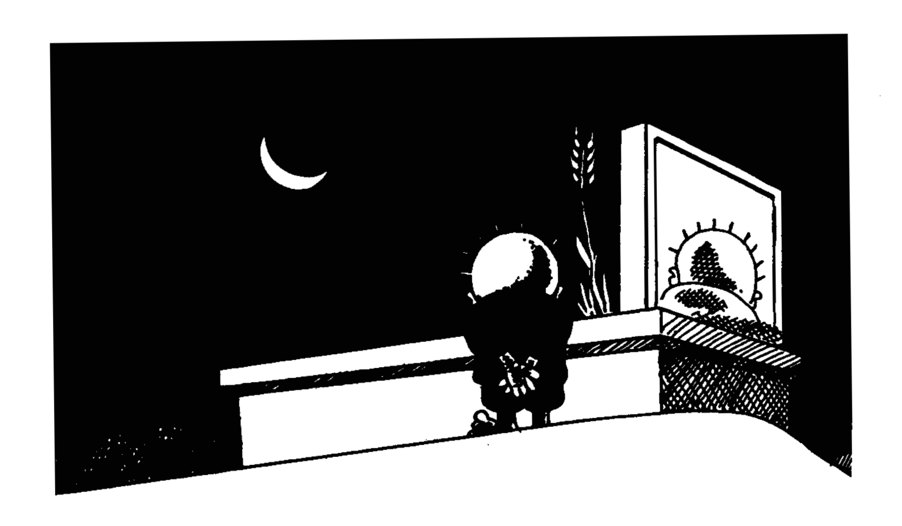


ـ إلَى صَدْرِهَا لاَ مَنَاص

ولكـــن

بعيــدًا

بعيـــدًا



جنوبِـيَّ «لندن»
يُغَلِّقُ قبرٌ تَمَلْمَلَ أبْيَضَ كالزّقْزَقاتِ
وأخضرَ كَالوَرَقَات
وأسودّ كالطُرُقَاتِ
وأحمرَ كَالطَّرَقَات يَدُقُّ قُبور رِجَالٍ من الشمسِ
حتَّى استفاق سُعاةُ البريد :

خِطَابٌ مِنَ القَبْرِ جَاء :

سلامًا ألاَ أيُّهَا الأصدقاء
سلاما على الطّيّبين
وبعـد
إذا « شِفْتُمْ » فَاطِمَة
فقولُـوا لهـا
رَجَوْنَاكِ :
لاَ تَحْسِري الرّأسَ يَا«أُمَّ نَاجي»
ولا ترفعي رَاحتيك تِجَاهَ القَمَر
ولا ترفعي الصَّوتَ نَحْوَ السماء
وَلاَ لاَ تَقُولي :
« أيا ربُّ بَرِّدْ ثَرَى كَبِدي »
ولا تحسبوا أيّها الأصدقاء
بأني من القائلين بِعَوْرةِ صَوْتِ النساء
فَلَسْتُ مِنَ ٱلْقَا
تِلِيـنَ
وَكَاتِمُ صَوْتِيَ أعْوَر
(عَلَى فكرةٍ فَنِسَاءُ أُوروبَّا هُنَا يَحْكُمُون)

وقولوا لها

« لا تقولـي :

« أيا رَبُّ بَرِّدْ ثَرى وَلَدي»

فهذا الدّعاءُ إذا استَقْبَلَتْهُ السَّمَاءُ

وَإنْ نَقَلَتْهُ غُيُومٌ من « المُتَوَسِّط »«للأطْلَسِيِّ»

وَلَوْ تَرْجَمَ الأنجليزُ النِّدَاءَ

لقَالتْ أوروبا :

«دعاء الأمومة عند العربْ

وَبَالٌ وَشَرٌّ »

فَلاَ تَحْسِري الرّأسَ يا فاطِمَهْ

ولا ترفعي الصَّوت صَوْبَ القَمَرْ

طَمْئِنُوهَا :

ثَرى قَبْرِه باردٌ

باردٌ

باردٌ

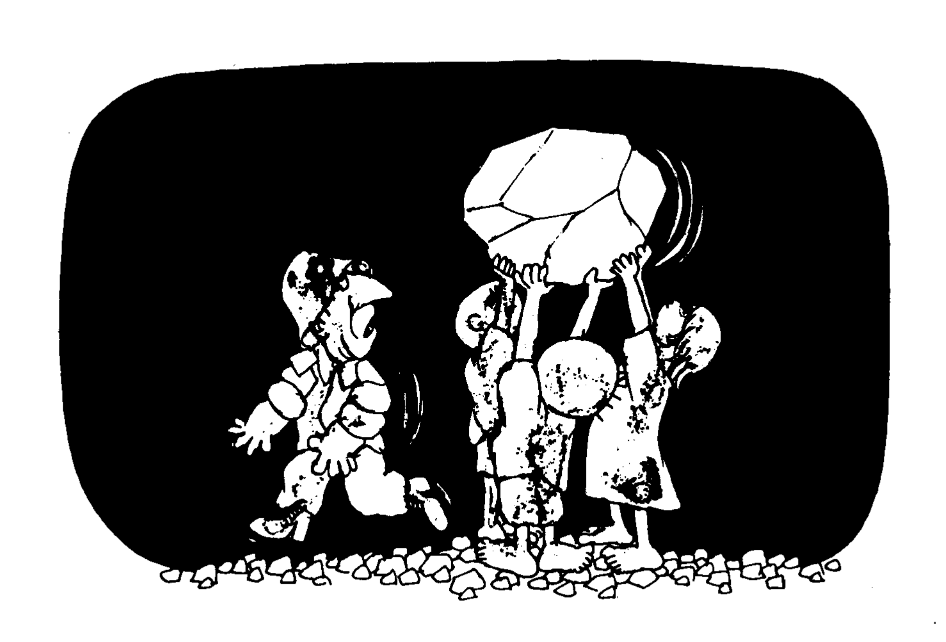
لا تزيديه بَرْدًا على ثَلْجِ لندن

وَبردُ تُرَابِ سِوَى بلدي

شَبيهٌ بِكَيٍّ عَلى جَسَدِي

يُلِحُّ الصباح
و« غَسَّانُ » أَوْصَى رجالاً من الشمس حتى يَدُقُّوا
فما دَقَّ خزانَّنا غيرُنَا
والعدُوُّ يدقُّ عظام الرضيع على حَجَرٍ فِي جدار تَهَدَّمَ

قَالَ الجدارُ :



« اثروني على الخوذة الحَجرِيِّةِ

لا تَتْرُكُوا أيَّ بيتٍ



فكل البيوتِ قديمةْ
لأن البيوت الّتي سَقْفُها الإحْتِلاَلُ : هَزيمَة

ثَلَفَّتَ صمتُ المقاول إذ قال حمدلة المتلائمُ :

« إنّي اكْتَشَفْتُ الحجارة ·

وهذي الحجارةْ

ــ لعَمْرِي ــ كريمة

« عَفَـارِم »

لنا حجرٌ سوف يَكْفِي لِقَصْرِ الحُكُومهْ »

....

يَجِيءُ من القارىء الحنظليِّ خطابُ العِتَاب :

« أبَا خَالِدٍ
رُسومُك يا سيدي خالداتٌ
ولكــن
سنقرأُ ماذا بُعَيْد الغِيَاب
هُنَا وَرَقٌ كَالصَّحَارَى
وحبرُك قَدْ كَان خُضْرة
رسمُك شَهْدٌ
وإنّ الوقائعَ مُرَّة
وداعًــا
أبَا خَالِدٍ
والسـلام »

أخيـرًا

أَنَا حنظلة ...

... أَبِي مَيِّتٌ يَا بِلاَدي

كتبتُ إلى القارىء الحَنْظَلِيّ الجَوَاب :

« وبعد التّحية والإحترام

فَلاَ تَقْطَعُوا صِلَةً بالجريدهْ

أنا لا أحبُّ الرسوم القديمهْ

ولكنْ إذَا نُشِرَتْ بعْدَنا ألْفَ مرّةْ

فمَعْنَاهُ قَدْ خَلَّدَتْهَا الهَزيمةْ »

حَمَامٌ بشَعْراتِ رأسِ القتيل
وفَرَّ الحَمَام بريشه يكتبُ نَصَّ الهديل :
«إذا ضَاق حبرُ الصّحافيِّ، ضَاقَ الوطن»



صَبَاحٌ يَجِفُّ
جناحٌ على البيض رَفْرَف
وطفلٌ يَشُقُّ المسافهْ
وينفُر:
« منفايَ ليس مكاني
ولكنّ هذا الزّمَانَ زمَاني »

جناح **الصَّباحِ** انْطَفَأْ
والعيونُ على صَحَرَاءِ الظَّمَأْ
ولا خَطٌّ فوق الرِّمال ، أبا حَنظلهْ
وَيحسُدُك المُتَلاَئِم
على ولدٍ من خُطوط
أكَان كثيرًا
أكان حرامًا
أم الأرض : منفايَ ، أُمِّي ضَاقَتْ بِحِبْرِيَ
جاء المسدسُ يُلْقي السَّلاما
يتيمًا من الحزب عِشْتُ
لأنَّكَ حِزْبُ اليتامَى

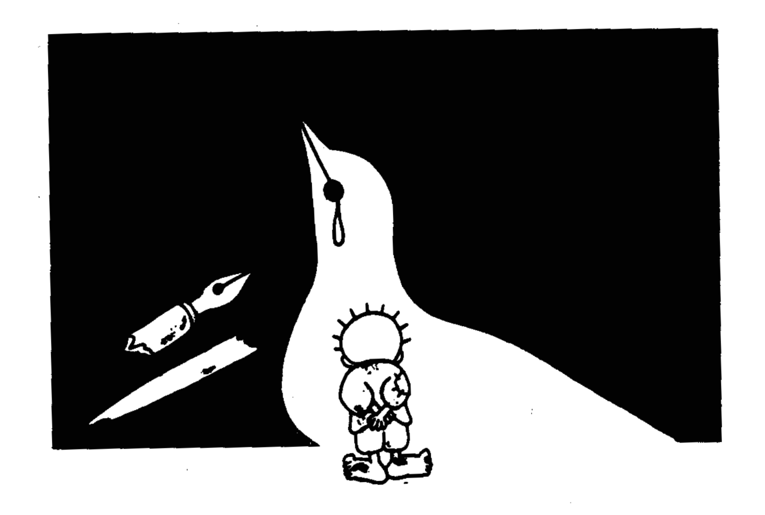
عُيونٌ تُحَدِّقُ رَمْلاً

عيونٌ عليها الرِّمَالُ

صَحَارَى الوَرَقْ

يا صَحارَى الورقْ

إلى أين تَمْضِي حدُودُ العَمَى



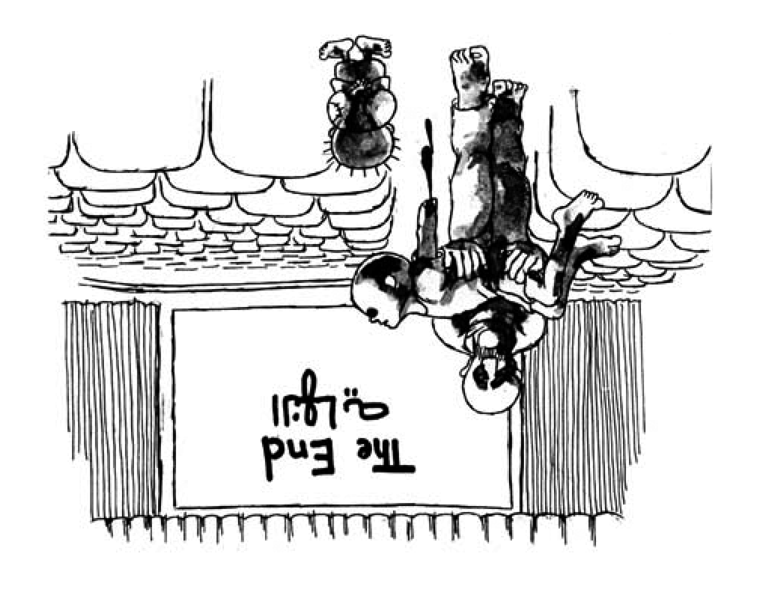
إنّ صبحًا يُحَفِّرُ خُطوةَ نورٍ ليُشرِقَ ساعي البريدْ

وساعي البريدْ

يُثَبِّتُ شاهدةً في ختَامِ القَصِيدْ

... تَقُولُ الأُمُومةُ بعد الولادَهْ
« أُزَغْرِدُ حَتَّى أغيظَ العِدَا
ومن عادة الشُّعَرَاء بُعَيْد الشهادهْ
«رَحَلْتَ ومَا مُتَّ. يَا سَيِّدَ الشُّهَدَاء
ومن عادة الشّعب رفضُ العَزَاء
لِذَا لَنْ نُقيمن الحِدَادَا
وَلَكنَّنَا مثل كلّ الشعوبِ
إذا ما خَلَوْنَا لأنْفُسِنَا
تُضَاءُ الدُّمُوعُ على الشَّفَتَيْنِ
لأنّـا

على الرَّاحلين
فَقَدْنَا النِّدَاء





• في تجربة المنصف المزغني من تونس، لم اكتشف شاعراً فقط، بل مسربا لتجربة شعرية، وانعطافاً كبيراً، ورائعاً، ربما سيكون الاهم في انعطافات التجربة الحديثة. ففي تجربته احسست بان هناك تداخلاً، بين الرؤى التشكيلية والالقاء، ومسرحة القصيدة، والتغير الصوتي، واذا استطاع المنصف ان ينصفني ويمد بتجربتي، فعليه ايضاً ان يعمل على الفن التشكيلي، ويداخل بينه وبين عمله، فتكون عملية متكاملة، لما يمكن ان يسمى الكولاج الشعري.

بلند الحيدري

- آفاق عربية -

1985

• **منصف المزغنّي**

13 - 1 - 1954 صفاقس

* عناقيد الفرح الخاوي - 1981
* عيـــاش - 1982
* قوس الريـــاح - 1989

ISBN 9973-740-00-9

الثمن :3,200 د.ت. او ما يعادله